

المقالة الأولى

في سبب الرد وبيان المراد بالتوراة والانجيل عند المسلمين

اطلعنا على صحيفة كبيرة لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التي نشرتها البعثات النصرانية في الطعن بدين الإسلام، يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت في ذهنه من مطالعة تلك الكتب . ومن الواجب أن نجيب عن هذه الشبهات لأن المدافعة عن الدين أهم ما أنشئ له « المنار » ولكن سفتنا التي جريتنا عليها من أول يوم هي مسألة المخالفين لنا في الدين لاسيما المسيحيين ، بل السعي في إزالة الأحقاد ، والاتفاق على مافيه نجاح البلاد ، ونود أن لا يظعن أحد في دين الآخر، لا قولاً ولا كتابة، ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هذا كما يوافقنا المسلمون . ولذلك نراهم يعقدون الجمعيات للطعن اللساني في الإسلام ويزشرون الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابي . وإنا نصبر على هذا التعدي . ونكتفي بكشف شبهات السائلين من أهل ديننا مع مراعاة الأدب فنقول :

إننا قد عجبنا لهذا المسلم المطالع كتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتهما من غير أن يطالع الكتب الإسلامية التي تقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وتورد عليها ما لا دافع له، ككتاب « إظهار الحق » وكتاب « السيف الصقيل » وغيرهما، فأول جواب نجيبه به : أن عليه أن يطالع تلك الكتب، وبعد مطالعتها والموازنة بينها وبين كتب المسيحيين التي طالعها يسأل عما يشبهه عليه إن بقيت له شبهة لأن الجريدة التي طلب أن تنشر فيها الأجوبة عن شبهته لا يمكنها استيفاء الكلام في مواضعها، لأنها تستلزم الطعن الذي تتحاماها، خلافاً لما جاء في آخر صحيفته . ثم

إن شبهاته تنقسم إلى ثلاثة أقسام — (أحدها) مخالفة بعض نصوص الدين الإسلامي لما ورد في كتب اليهود والنصارى (ثانيها) ورود أشياء في القرآن لم ترد في تلك الكتب . وإن تعجب فمعجب اشتباه هذا المسلم في هذا النوع . فإن السكوت عن الشيء لا يعد إنكاراً له ، فكيف يشبه بما يعتقد أن الله أخبر به لأن أولئك المؤرخين لم يذكره !!! (ثالثها) ورود أشياء في الكتاب والسنة مخالفة للواقع أولاً ثبت في العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم . وإننا نجيب عن القسمين الأول والثالث ، وحسبنا في الجواب عن الثاني ما ذكرنا من أنه لا وجه للاشتباه به . ونبدأ الجواب بمسألة وجيزة في اعتقاد المسلمين بالتوراة والإنجيل فنقول :

إن السائل يحتاج على كون التوراة والإنجيل من عند الله تعالى بالقرآن تبعاً لدعاة النصرانية الذين أولع بسماع كلامهم وقراءة كتبهم ، ولعمري إنه لا تقوم على ذلك حجة إلا شهادة القرآن ، فشهادة القرآن حجة على أن الله تعالى شرع على لسان موسى عليه السلام شريعة سماها التوراة وهذه الشهادة شبهة على القرآن لأنها شهادة بمحققة شيء يشهد العقل والعلم والوجود ببطلانه ، بل يشهد هو ببطلان نفسه . أما شهادته ببطلان نفسه فيما فيه من التناقض والتعارض ، وأما شهادة العقل والعلم والوجود فبمخالفة تلك الكتب التي تسمى عند القوم توراة لها ، وإذا أراد السائل أن يعرف هذا تفصيلاً فليطالع ما كتب فيه من الانسكلوبيديا الفرنسية الكبرى وغيرها من الكتب التي ألفها علماء أوروبا ومثل إظهار الحق من كتب المسلمين .

وأما الجواب عن هذه الشبهة الذي يظهر صحة شهادة القرآن فهو أن التوراة التي يشهد لها القرآن هي كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقبوس من ميثولوجيا الآشوريين والسكندانيين وغيرهم فنبالى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ماورد فيه ، ولا تاريخ طبيعي فنبالى بتكذيب ماثبت بالتجارب الوجودية من مخالفته ، كشبوت كون الحية لا تأكل كل

الغالب ، وإن جاء في سفر التكوين أن الرب قال للحية : « وكما أكلت من كل ثمرة
حياتك » فضلاً عما فيه من نسبة ما يلبق بالله إليه تعالى ، ككونه يمشي على خلق
الإنسان ونحو ذلك . فالتوراة حق وهي الشرائع والأحكام التي كان يحكم بها
موسى ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وأجيالهم كما قال الله تعالى
(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا
والرمانيون والأحبار) ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التي منها
ما لم يعلم مؤلفه وكاتبه وكلها كتب بعد موسى صاحب التوراة زمن طويلاً ، وبهذا
الجواب تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشبهة في الخلاف الثاني بين القرآن
وكتاب حزقيال وأشعيا ودانيال وغيرهم ، لأن هذه الكتب لم يشهد لها القرآن ،
ولا تفرق بتسمية القوم لجميع كتب العهد العتيق بالتوراة ذلك اصطلاح جرى على
سبيل التغليب ، بل إننا نرى النصارى كثيراً ما يسمون مجموع كتب العهدين
العتيق والجديد التوراة عند ما تكون مجمعة .

وأما الإنجيل فهو في اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى إلى السيد المسيح
عليه الصلاة والسلام من المواعظ والحكم والأحكام وكان يعظ به ويعلم الناس .
وما زاد على ذلك من هذه الكتب التي يسمونها أنجيل فهو في نظر المسلمين من
التاريخ إن كان خيراً ، وإن كان حكماً أو عقيدة فهو لمن قاله . وأنت تعلم أن
النصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد إنجيلاً ويعترفون بأنها كتب بعد
المسيح بأزمنة مختلفة وليس لها ولا لكتب العهد العتيق أسانيد يمتنعون بها .
والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحفظوا جميع ما وعظهم به المسيح من
الوحي المسمى بالإنجيل حيث قال : (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم
ففسوا خطاً مما ذكروا به) « كما قال مثل ذلك في اليهود » والإنجيل يطلق على
بعض ذلك الوحي كما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه . تقول كان فلان يقرأ

القرآن، ومثل هذا الاستعمال معروف حتى في الكتاب والسنة، وكان القرآن يسمى قرآنا قبل تمام نزوله

ولما كانت أحكام التوراة وحكم الإنجيل موجودة عند اليهود والنصارى بلا شبهة كان القرآن يحتاج عليهم بعدم إقامتها ولا يمنع من هذا الاحتجاج مزجهم إياها بالتاريخ، ولكن هذا المزج هو السبب في قول النبي ﷺ « لا تصدقوه ولا تكذبوه » أى عند ما يعرضون عليكم شيئا من كتبهم . وذلك لأنه ليس ههنا فرقا ن يميز به بين الأحكام الأصلية الموحى بها وبين ما مزج بها فى التأليف نعم إننا نرجح بمقولنا أن الأحكام المسندة إلى سيدنا موسى فى سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية كلها أو جملها من التوراة لأنها إن لم تكن هى فآين هى ؟ ونرجح مثل ذلك فى وعظ المسيح على الجبل كما فى تاريخ (إنجيل متى) وغير ذلك من المواعظ كما رجح بعض العلماء فى أوروبا والشرق إن جزءا كبيرا من الإنجيل الحقيقى دخل فى كتاب أشعيا ، وأما الأخبار التى عند القوم فما خالف منها القرآن نقطع بكذبه ، ولا غرو فالله يصدق والمؤرخون يكذبون . وهو معنى قوله تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه) وإننا نكتفى الآن بهذا القدر وموعدا الجزء الآتى . وإن كان للسائل شبهة فيما كتبنا فليكتب إلينا ليزيده إيضاحاً . وكنا نحب أن يجيئنا إلى إدارة المنار ويأخذ الأجوبة الشفاهية ، لأن حرية اللسان أكبر من حرية القلم . ولولا أن فقهاءنا يحكمون بكفر من يعلم أن مسلماً شك فى دينه وهو قادر على إزالة شكه ولم يفعل لما كتبنا شيئاً مما كتبنا لأننا خطباء وفاق ووثام ، وطلاب مودة والتشام ، ولكن ديننا أوجب علينا هذا لاسيما وإن السائل كنم اسمه وطلب أن يجاب فى المنار فتعين علينا ذلك

المقالة الثانية

﴿شبهات التاريخ على اليهودية والنصرانية - موازنة بين الأنبياء الثلاثة﴾

كتبنا نبذة معنونة بهذا العنوان (أى شبهات المسيحيين الخ) في الجزء الخامس ذكرنا في فاتحتها أننا طلاب مودة والتسامح ، لا عوامل نزاع وخصام ، وأنها لا نود أن يظعن أحد من المسلمين والنصارى في دين الآخر ، لأن إظهار كل فريق محاسن دينه كافية في الدعوة اليه من غير حاجة إلى الطعن ، فقد قام الاسلام بهذه الآداب ونما نمواً وافتشر انتشاراً سريعاً لم يعرف له نظير في التاريخ ، وذكرنا أيضاً أن إخواننا المسلمين إذ وافقونا على استعذاب هذا المشرب فإن المسيحيين لا يوافقونا عليه ، لأنهم يؤلفون الكتب والرسائل وينشرون الجرائد للطعن في ديننا ويرسلونها إلينا للرد عليها

وقد ألف بعض أدبائهم وعلماء دينهم نقولا افندي غيريال كتاباً جديداً في الدعوة إلى النصرانية والطعن في الإسلام يتميز على الكتب الأخرى بالتزاهة وانحلو من الألفاظ التي تدعى شتماً وقد أهدانا هذا الكتاب لتتكلم عنه في المنار ثم لقينا وطلبنا بأن نكتب رأينا فيه وإن كان ابطالا لدعواه ، ولقينا أيضاً بعض المبشرين رفقاء المؤلف وألح علينا بالكتابة إلحاحاً وأكد القول بوجودها تأكيذاً . لا جرم أن المجادلة هي وظيفة هؤلاء التي يمشون بها ظالمات يطلب مشترى والمجادل يطلب مجادلاء ، ولكن طلب الرد على الكتاب لم يقتصر على هؤلاء حتى قام يطلبه منا بعض أصحاب الجرائد من المسيحيين كرسيفنا الفاضل صاحب السعادة سليم باشا الحموي فإنه طلب ذلك منا قولا وكتابة في جريدته (الفلاح) القراء ولا شك أننا إذا قلنا هؤلاء المؤلفين الصاع بالصاع بأن نجاحنا حدود المدافعة إلى المهاجة يرون شبرنا ذراعاً وذراعنا باعاً فإنه إذا لم يثبت دين الفطرة

لا يمكن أن يثبت دين ، ولولا أن الاسلام محبوب عن الانظار بالمسلمين لاخذ به جميع عقلاء الأوربيين .

يتبين ذلك لمن نظر في الأديان الثلاثة من كتبها المقدسة مع معرفة تواريخ الذين جاؤا بتلك الكتب وسيرهم . وقد جرت لنا في هذا الموضوع محادثة مع أحد علماء التاريخ المسيحيين الجغرافيين الذين لا يتعصبون في الحقيقة لدين . وكان موضوع الكلام « من هو أعظم رجال التاريخ ؟ » وفرضنا أنفسنا غير معتقدين بدين ، فذكرت محمداً وذكر موسى وعيسى (عليهم الصلاة والسلام) متفقين على أنهم أعظم الرجال مختلفين في أعظمهم وأفضلهم بحسب حاله وأثره التاريخي .

قلت : إن موسى يرى في بيت أعظم ملك في العالم لذلك العهد على أنه ابنه فتشاً في مهد الملك والسلطان وأشرب حب السيادة والحكم وشاهد سير المدنية ، وللعالم الكونية والسحرية ، وأبصر فنون الصنائع ، وتقلب في ظل القوانين والشرائع ، وأظهرت عزة الملك ما اقتضاه مزاجه من الشجاعة والاقدام . ثم لما بلغ أشده وحصار فرعون وآله عدواً وحزناً علم أن له أمة مضطهدة مهانة على ما منحته من ذكالة الفطرة والجدة في العمل وكثرة النسل ، فالتجدهم عصبية له وحلول تأسيس ملك برعته إليه نفسه لما أعطته القرنية الملوكية وظاهر فرعون وحظائه أولاً بالقوة التي كان يستولى بها على النفوس ، ولستمعبد بسلطانها الشعوب ، وهي قوة الأعمال القرابية التي نشأ في حجرها . ثم خرج عليه بقوة العصبية كما عهد من كثيرين في تلك المتمدنة وقد أعطانا التاريخ أن من الخارجين من يؤسس إمارة أو مملكة في داخل المملكة التي يخرج على سلطانها ، وموسى قد خرج من مصر هالداً بقوة من فرعون . أما عبور البحر وهي القرية التي لا يمكن أن تكون حيلة ولا شجاعة ولا سحر ولا جماعه فقد بين بعض المؤرخين أن بني اسرائيل عبروا البحر في نهاية الجزر من مكان قليل العمق ولما عبر فرعون بالمصريين كانت قواتهم قد أخذت بالزيادة والفيضان فغرقوا فيها وقد جرى مثل هذا لتأجيل

يونان بارت فانه عبر بمعسكره البحر الأحمر في وقت الجزر إلى الشاطئ الثاني ولما أراد الرجوع إلى شاطئ مصر كان المد قد ابتدأ ولولا أنه أمر العسكر بأن يمسك بعضهم ببعض حتى تغلب قوة المجموع قوة المد لفرقوا أجمعين ، وما عدا هذا من غرائب موسى في نقله إشكالات ، وفي فهمه شبهات ، وفي دلالاته على تقيده بكونه يتكلم عن الله تعالى نظر ، فإذا اقتنع به بعض من مضى لا يمكن أن يقتنع به من حضر . والشريعة التي جاء بها يشهد التاريخ بأن أكثرها موافق لشرائع المصريين ، وما بقي منها فلا يكثر على من تربى مثل تربيته ، وأعطى مثل ذلك قريحته .

وأما عيسى فهو رجل يهودى تربى على الشريعة الموسوية ، وحكم بالقوانين الرومانية ، واطلع على الفلسفة اليونانية ، فعرف مدينة ثلاث أمم كانوا أعظم أم الأرض مدينة وأوسعها علماً وحكماً ، ولم يحمله شيء من ذلك على أن يشرع شريعة جديدة ولا أن ينشئ أمة ، وإنما كان خطيباً قصيصاً وعلق بذهنه شيء من افراط بعض فلاسفة اليونان في الزهادة وترك الدنيا بالمرّة واذلال النفس لأجل نجات الروح والدخول في ملكوت السماء ، فطفق يخطب بذلك وتبعه بعض الفقراء الذين وجدوا لهم بكلامه تعزية وسكوى ، وطفقوا ينقلون عنه بعض الغرائب كما هو المهود من عامة الناس . وإن ما ينقل عنه من ذلك لا يبلغ عشر معشار ما ينقل عن أحد أولياء المسلمين كالجيل والبدوى . وأما كونه ولد من غير أب فهي دقوى لا يمكن إثباتها إلا بتبوت دين الإسلام بالبرهان العقلي لا بالغرائب وليس ذلك من موضوعنا الآن ، فلو رُخ إذا أحسن الظن بقول ان عيسى هو ابن يوسف النجار زوج مريم وهذه الزوجية لا ينكرها النصارى . فموسى كان له أثر عظيم ولكن عيسى لا يعرف له التاريخ اثرأ يذكر لافي العلم ولا في الاصلاح ولا في المدنية بل ان تعاليمه ومواعظه تؤدي إلى فساد المدنية وخراب المصالح والميلوط بالتنوع الإنساني من أفعه الأحملي ، إلى حضيض الحيوانية السفلى لا عدا فيها من تربية النفوس على القتل

والمهانة والرضى بالخسف والمضيعة والأمر بترك عمران الدنيا وترقيتها لاعتقاد أن
الجل يدخل في سم الخياط ، ولا يدخل الغنى ملكوت السموات . ثم هي من جهة
ثانية تعاليم اباحة لانها تعلم أن الذي يؤمن بصلب المسيح لأجل خلاصه هو الذي
يختص بملكوت السماء وتمحي جميع خطاياهم . ومن اعتقد ذلك يستبيح كل محظور
ويتبع هواه . ومن جهة ثالثة نرى هذه التعاليم وثنية لانها تأمر بعبادة البشر
وتطغي نور العقل ، لانها تكلفه بأن يعتقد بثبوت ما يجزم بأنه محال ككون الثلاثة
واحدا والواحد ثلاثة ، وتذهب باستقلال الفكر والارادة إذ تجعلها مقيدة بسلطة الرؤساء
بمقتضى قاعدة : ان ما يحلونه في الأرض يكون محلولاً في السماء وما يعقدونه في الأرض
يكون معقوداً في السماء .

وأما زعم أن المدنية الأوروبية مدنية مسيحية فهو زعم منقوض بالداهية لأن
هذه المدنية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء والعظمة
والتمتع بالشهوات ، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بإفراط بعيد . وما وصل
الأوروبيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد ما نبذوا التعاليم المسيحية ظهرياً . ولو أن
هذه المدنية من أثر التعليم المسيحي لنشأت عنه بقرب نشأته ولكنها لم تظهر إلا
بعد بضع قرون من ظهوره . والنتيجة أن التاريخ لا يعرف للمسيح أثراً في الكون
يجمعه في رتبة الشارعين والمصلحين في الأمم .

وأما مجد (عليه الصلاة والسلام) فقد ترى يتبا في أمة وثنية أمية جاهلية
ليس لها شرائع ولا قوانين ولا مدنية ولا وحدة قومية ولا معارف ولا صنائع وكان
أعظم ارتقاء بلغته في عهده أن وجد بضعة نفر تعلموا الكتابة بسبب اختلاطهم
بالأمم الأخرى ولم يكن هو منهم ولا السابقون إلى الإيمان به ومع هذا أوجد أمة
وديناً وشرعية وملكاً ومدنية في مدة قريبة لم يعهد مثلها في التاريخ .

علم الناس أن يبنوا عقائدهم على قواعد البراهين العقلية ، وأن تكون آدابهم
وأخلاقهم على صراط الاعتدال ، وأن يقوموا بحقوق الروح والجسد وأن

يراعوا سنن الله في الخلق والأمم ، وبين لهم المبادئ بآثارها في تزكية الروح وتطهيرها ككون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لما اشترط فيها من الخشوع الخ وأباح لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث ، وجعل المعاملات الدنيوية دائرة على دره المصالح وجلب المنافع ، وأطلق لهم حرية العقل والفكر ، وسأوى بينهم في الحقوق لا فرق بين الملك الكبير والصعلوك الفقير ، ولا بين الرجل والمرأة ، وأعطى المرأة حرية التصرف في أملاكها ، ووضع حدوداً عادلة لتحكم الرجال في النساء وللق ، ونقح نظام الحروب فمنع البغى والتمثيل بالقتلى وقتل من لا يقاتل كالنساء والشيوخ والأطفال ورجال الدين الخ ما ذكرته لذلك المؤرخ المحقق ، وسأفصل القول فيه في دروس التوحيد الآتية إن شاء الله

وقد أذعن لى ذلك الفاضل بأن محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم رجال التاريخ إلا أنه احتج على بسوء حال المسلمين وكونهم على خلاف ما ذكرت في وصف الدين الاسلامي ، فقلت له : ان بين الاسلام والمسلمين فرقا كالفرق بين المسيحية والمسيحيين أو أبعد . وحسبك أن المدنية الاسلامية ما وجدت إلا بالدين الاسلامي (راجع مقالات مدنية العرب في مجلد المنار الثالث) وكانت تنقلص عنهم كلما ابتدعوا في الدين وانحرفوا عن صراطه حتى وصلوا إلى مام فيه الآن . وأما المدنية الأوروبية التي يسميها بعض الناس مسيحية فلم توجد إلا بعد ما اتصل أهل أوروبا بالمسلمين وأخذوا كتبهم وترجموها ، وهم يزادون ارتقاء في مدنيتهم كلما ازدادوا بعداً عن المسيحية ، فقال هذه مبالغة في الجانبين وانقض المجلس

بقي ان ما تقدم من الشبه على نبوة سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام يتناول أيضاً نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لا يرد على دينه مثلما يرد على المعروف من دينهما بل لأنه شهد لهما بالنبوة والهداية الالهية وقد ذكرنا الجواب عن ذلك في نبذة (شبهات المسيحيين على الإسلام) التي نشرت في الجزء الخامس من هذه السنة (أي المقالة الأولى التي قبل هذه) . ولو

أُصِفَ رجال الدين من اليهود والنصارى لمتسكوا بذلك الجواب واففقوا عليه لأنه لا يدفع عنهم اعتراضات علماء التاريخ والآثار العادية والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس إلا هو . وأما الجواب عن آية انغلاق البحر لسيدنا موسى فهو ان ماذا ذكر بعض المؤرخين من حديث المد والجذر فهو احتمال يرجح عليه أخبار الوحي الثابت بالبرهان الحقيقي الذي بيناه في درس التوحيد قبل هذه المقالة . وكذلك يقال في سائر الآيات وما يرد عليها من الشبهات وسنجيب عما ذكرناه من اعتراض التاريخ على التعاليم المنسوبة إلى المسيح

وحاصل ما نقوله الآن ان اثبات الدين إما أن يكون بنقل الآيات الكونية الطارقة للعادات المعروفة للناس وفيه النظر الذي تقدم في درس التوحيد وهو أيضاً مشترك بين الجميع لأن كل أمة تنقل عن شاربها مثل ذلك، فما يقال في نقل هؤلاء يقال في نقل الآخرين على أن نقل المسلمين أقرب إلى الصحة من نقل غيرهم لوجوه كثيرة منها أن العلم والتأليف والرواية اللسانية معروفة فيهم من القرن الأول إلى الآن . ومنها أنه لم يغلب عليهم عدو حرق كتبهم وطمس معالم الثقة بدينهم وقار يخهم . ومنها أنهم لم يضطهدوا ويضطروا لكنهم دينهم فيقال إن التلاعب حصل في إبان الكتمان . ومنها أنهم هم الذين اخترعوا وضع التاريخ للرجال لأجل معرفة صحة الرواية من عدمها ولم يكن لليهود ولا للنصارى مثل هذه المزايا . وإما أن يكون بالآيات النفسية والعلمية وهذا لا يظهر في نبي كظهوره بالنسبة إلى نبينا ﷺ كما بيناه في درس التوحيد المنشور في هذا الجزء ، وسنزيده بيانا فيما سيأتي كما وعدنا وحيفئذ يكون البرهان الصحيح في هذا الوقت على نبوة موسى وعيسى عليهما السلام شهادة نبينا لهما ، كان الله تعالى أعطاهما في زمنيهما آيات تناسب حال الأمم فيهما ، ولا يمكن أن تثبت الآن بنفسها ، ولذلك نرى كل من يتعلم ويعقل من المنتسبين اليهما يفتنهما ظهورهما ويحسبها شينا فريا ، ولو عرف الاسلام حق المعرفة لقبه وقبلها على وجهه معقول . إذن إن أفضل خدمة للدين المطلق هي أن يعترف الاسلام حق المعرفة لتعرف

اليهودية والنصرانية أيضا على الوجه المقبول ، وذلك بالتوفيق بين التوراة والإنجيل والقرآن كما وقفنا في الجزء الخامس لا بالاستدلال بالقرآن على صدق التوراة والإنجيل ، ثم الاستدلال بما يسمونه توراة من تلك الكتب الكثيرة التي ألف أكثرها بعد صاحب التوراة وبالكسب والرسائل الكثيرة التي يسمون مجموعها إنجيلا على تكذيب القرآن ، لأن هذا الضنيع يعود على الموضوع بالنقض فيبطل الدليل نفسه ، وأقل ما يقال فيه «تعارض تناظرا» وتكون النتيجة ابطال الجميع أي إن القرآن هو الدليل على صحة التوراة والإنجيل . والقرآن ليس من الله (بزعمهم) فشهادته غير حق ودلالته غير صحيحة . وسنعود إلى الكلام على (كتاب أبحاث المجتهدين) وعلى جريدة (بشائر السلام) بما يؤلف بين الأديان ، ويدعو إلى إزالة الأضغان (١٤ ص ٣٧٩ - ٤)

المقالة الثالثة

مقابلة بين الاسلام والنصرانية في مقاصد الدين الثلاثة

بيننا في الجزئين الخامس والعاشر ، المراد بالتوراة والإنجيل عند المسلمين وهما اللذان يشهد لهما القرآن الكريم وبيننا أنه لا تنهض المسيحيين حجة على إثبات دينهم وكتابهم ونبوته سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام إلا من القرآن ، ولا يكون القرآن حجة إلا إذا كان من عند الله تعالى فعليهم أن يؤمنوا به أو يأخذوا بما يصلاحه ليكونوا معنا موحدين لله تعالى نعبده وحده من دون البشر كالمسيح وغيره وتدعو سائر الوثنيين إلى هذا الإيمان الذي هو غاية ارتقاء العقل البشري وفيه السعادة والنجاة في الآخرة مع العمل الصالح الذي يستلزمه . وقد بينا بالدليل المقبول نبوة نبي الله ﷺ وكون ما جاء به وحيا في درس التوحيد الذي نشر في الجزء الماضي . وسنزيده بيانا في الدروس الآتية إن شاء الله تعالى . هؤلاء المشركون

يدعوننا إلى البحث في الدين أو يدعونا أن نؤمن بأن بعض الأنبياء إله كامل وإنسان كامل ، وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة حقيقة ، وإن كان العقل ينكر ذلك ويحمله وهو محل الإيمان ، وأن ننكر بعض الأنبياء ونجحد نبوته بالمرّة وإن قام عليها أقوى البراهين ، فإن كانوا يبحثون لظهار الحق لأجل اتباعه فيجعلوا العقل أصلاً ويحكموه في الدلائل ، وإلا فماذا يميز بين الحق والباطل ؟ إن قالوا كتب الدين نقول (أولاً) بماذا تثبت هذه الكتب ؟ فإن قالوا بالعقل نقول لزمكم أن العقل هو الأصل ، ولا يتأتى أن يحكم بصحة كتاب يشتمل على ما هو مستحيل عنده . و (ثانياً) إذا كانت كتب الأديان التي تناظرون فيها متفقة فالدين واحد وإلا فماذا يرجح بعضها على بعض ؟ أليس بالعقل الذي يبين أيها أهدي وأنهدى بما يحتاج إليه البشر من الدين .

لله دين ثلاثة مقاصد : تصحيح العقائد التي بها كمال العقل وتهذيب الأخلاق التي بها كمال النفس وحسن الأعمال التي تناط بها المصالح والمنافع وبها كمال الجسد . فإذا حكمنا عقلاً لم يسبق له تقليد المسلمين ولا تقليد النصارى في الدين وكلفناه أن ينظر أي الدينين وفي هذه المقاصد الثلاثة حقها بحسب العقل السليم فماذا يحكم ؟

يرى المسلمين مجمعين على أن العقائد لا بد أن تكون أدلتها يقينية لأن كتابهم يقول في الظن الذي هو دون مرتبة اليقين في العلم «إن الظن لا يغني من الحق شيئاً» ويقول في الدين احتجوا على شرهم بعشيرة الله تعالى «هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا خردسون» ويقول «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» ويقول عند ذكر الآيات التي يقيمها على العقائد «إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» إن في ذلك لآيات لأولى الذمى «أى العقول . ويرى المسيحيين مجمعين على أن أصل اعتقادهم فوق العقل ، وأنه يحكم باستحالته وعدم إمكان نبوته ولا

شك ان هذا الماقل يحكم بأن عقائد المسلمين هي الحقّة الصحيحة ولا يلتفت إلى قول صاحب البحوث المجتهدين وغيره : « ان ذلك بحث في كنه ذات الله تعالى ولا يعرف كنه الله إلا الله باتفاق المسلمين وغيرهم » : لأن فرقا عظيما بين ما يشبهه العقل بالادلة ولكنه لا يعرف كنهه وبين ما ينفيه ويجزم بعدم امكان تحقيقه . ومثال ذلك اننا تثبت المادة بصفات وخواصها وآثارها ولا نشك في وجودها ولكننا لانعرف كنه حقيقتها بل لم يصل العقل إلى معرفة كنه شيء من هذه المخلوقات وانما عرف الظواهر والصفات . كذلك التوراة تصف الله تعالى بصفات يرفضها العقل كقوله في الباب السادس من سفر التكوين « فحزن الرب انه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال امحوا عن وجه الأرض الانسان الذي عملته » وهذا يدل على انه كان جاهلا وعاجزا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثم ينظر هذا الماقل . والحكم العادل في المقصد الثاني وهو تهذيب الأخلاق فيرى التعاليم الاسلامية فيه قائمة على أساس العدل والاعتدال من غير تفریط ولا إفراط مع استحباب العفو والصفتح والاحسان لقول كتابهم « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فسر البيضاوى الفحشاء بالافراط في قوة الشهوة البهيمية والمنكر بالافراط في قوة الغضب الوحشية . وقوله « اعدلوا هو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم » وقوله « والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة عامة وخاصة . ويرى التعاليم المسيحية مبنية على التفریط والافراط . يقول كتابهم « أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم » كما في انجيل متى ٥ : ٤٤ وهذا افراط في الحب لا يقدر عليه البشر لأن قلوبهم ليست في أيديهم ويقول في انجيل لوقا ١٩ - ٢٧ « أما اعدائي أولئك الذين لم يريدوا ان أحكم عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبجهم تحت اقدامي » وفي الباب ١٤ من انجيل لوقا « ٢٥ وقال لهم ان كان أحد يأتى الىّ ولا يبغض

آباه وأمه وأمه وأولاده وأخوته حتى نفسه أيضا فلا يخلع أن يكون له تلميذا» وهذا تفريط في الحب افراط وغلوفى البغض ومثل هذا كثير. ولا شك ان هذا الماثل يحكم لدين الاعتدال على دين التفريط والافراط لأن الاول يرقى النفس البشرية ويمزها. كما قال تعالى « ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » والآخر يذلها ويذلها كما قال « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » وغير ذلك مما في معناه

وأما المقصد الثالث وهو الأعمال الحسنة التي ترقى النوع الانسانى في روحه وجسده فيرى في الاسلام كل عبادة منها مقرونة بفائدتها ككون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وكون الصوم يفيد التقوى وكون العبادة في الجملة رضى الله تعالى لقوله « وابتغاء مرضاتى » إلى غير ذلك مما يركى النفس ويرقى الروح ولا يرى مثل هذا في كتب الآخرين وإنما يرى في التوراة - التى هى كتاب الأحكام المسيحية ولكن المسيحيين يؤمنون بها قولاً لا فعلاً - أن أحكام العبادات معللة بالحفظ والدينية كقولها في الباب الرابع من سفر التثنية « : و احفظ فرائضه التى أنا أوصلك بها اليوم لكي يحسن اليك وإلى أولادك من بعدك » وكتعمليل مشروعية الاعياد في الباب ٢٣ من سفر الخروج من العدد ١٤ - ١٦ بالحصاد والزراعة والخروج من مصر . فإين هذا من بيان حكمة عيد الفطر في قوله تعالى « واتكلموا العدة ولتذكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »

ويرى أحكام المعاملات الاسلامية مبنية على أساس قاعدة دره المفاسد وجلب المنافع باتفاق المسلمين وأن كليات هذه الأحكام خمسة يسمونها « الكليات الخمس » وهى حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال ، ويرى أن الشريعة الاسلامية ساوت في الحقوق بين من يدين بها وغير من يدين بها . ويراها تأمر بكشف أسرار الكون واستخراج منافعه بمثل قوله تعالى « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » . ويرى التوراة والانجيل لم يجمعا

هذه المنافع في أحكامها بل يخالفاتها كثيراً . فالوصية التاسعة « لا تشهد على قريبك بالزور » فإين هذا التقييد بالقرب من أمر القرآن « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » وغير ذلك من الآيات . وفي الباب الرابع عشر من سفر تثنية الاشتراع إباحة المسكر وسائر الشهوات على الإطلاق ونصه : « وأفقق الفضة فيما كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكل هناك أمام الرب وافرح أنت وبيتك » . وفي الباب السادس من انجيل متى « ٢٥ لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وتشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون » وفي موضوع آخر « لا تشتغلوا من أجل الخبز الذي يفتي » يأمرهم بهذا مع أن الخبز أهم المهمات عندهم حتى أمروا أن يطلبوه في صلاتهم بقوله « خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » فما هذا التناقض .

لا تأمر هذه الكتب بترك الأعمال للدنيا فقط بل ليس للأعمال الصالحة فيها قيمة ولا منفعة مطلقاً فقد قال بولس في رسالته إلى أهل رومية ١٤ — ٤ « أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل لئمة بل على سبيل دين (٥) وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فأيمانه يحسب له برا » . هذا والله يقول في القرآن « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » الآية . فهل تنجح الأمم بهذه الأعمال أم بايمان لا قيمة للعمل معه ؟

وانتبه هذا المعنى بولس في الباب الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية إذ ذكر أن أعمال الناموس تحت لعنة وإياه لا يثبرر أحد عند الله بالناموس وأن

الناموس لا لزوم له بعد مجيء المسيح . والمسيح نفسه يقول : ما جئت لأتقض الناموس وإنما جئت لأتمم : ولكن المسيحيين عملوا بقول بولس فتركوا التوراة وأحكامها بالمرة وقد أباح لهم الرسل جميع المحرمات ماعدا الزنا والدم المسفوح والمخنوق والمذبوح للأصنام (أعمال ١٥ : ٢٨ و ٢٩) وكأنهم رأوا أن شريعة التوراة لا تصلح للبشر كما قال حزقيال في الباب العشرين عن الرب انه لما غضب على بني اسرائيل قال « ٢٣ » ورفعت أيضا يدي لهم في البرية لأفرقهم في الأمم وأذريهم في الأراضى « ٢٤ » لأنهم لم يصنعوا أحكامى بل رفضوا فرائضى ونجسوا سبوتى وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم « ٢٥ » وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها » وصرح حزقيال قبل هذا بأن بني اسرائيل عبدوا الأصنام بعد ما أتجهم الله من مصر فليعتبر بهذا ذلك المبشر المسيحي وذلك اليهودى اللذان انكرا على ما كتبت في العدد العاشر من طلب بني اسرائيل عبادة الأصنام وزعماً أنه لم يقل بذلك إلا القرآن اهـ (ص ٤١١ م ٤)

المقالة الرابعة

﴿ في كون اليهودية والنصرانية مأخوذتين من الوثنية ﴾

ذكرنا في النبعة الماضية أن عقائد المسيحيين التي هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وقلنا أن السكتب التي يسمى مجموعها عند اليهود والنصارى (التوراة) ليست هي التوراة التي شهد لها القرآن الشريف وإنما توراة القرآن هي الأحكام التي جاء بها موسى عليه السلام وتوجد (أى بعضها) فيها عدا سفر التكوين من الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى وفيها تاريخه وذكروا قاته وبيننا أنه لا سبيل إلى هروب أهل السكتب من اعتراض الفلاسفة والعلماء والمؤرخين على كتبهم إلا بالاتفاق مع المسلمين على هذا الاعتقاد . ونذكر الآن

كلام بعض فلاسفة فرنسا في الطعن بالديانتين اليهودية والنصرانية وكتبهما نقلا عن كتاب (علم الدين) الذي ألفه الخالد الذي ذكر على باشا مبارك ناظر المعارف سابقاً. قال في المسامرة الرابعة والتسمين حكاية عن الانكليزي الناقل كلام الفيلسوف الفرنسي بعد كلام مانصه :

« ويقول ان التوراة كتاب مؤلف وليس من السكتب السماوية متكتفاً في ذلك على قول ماري أغسطس : انه لا يصح بقاء الاصحاحات الثلاثة الأولى على ما هي عليه . وعلى قول أويجين بأن ما في التوراة مما يتعلق بخلق العالم أمور خرافية بدليل أن كلمة (براه) العبرانية وهي بفتح الباء وتشديد الراء وسكون الهاء معناه رتب ونظم ولا يرتب أحد شيئاً وينظمه إلا إذا كان موجوداً من قبل فاستعمال هذه الكلمة في خلق العالم يقتضي ان مادة العالم كانت موجودة من قبل فتكون أزلية ويكون ملازمها وهو الزمان والمكان أزليين . وحيث انهم قالوا ان المادة ذات حياة فتكون الروح أيضاً أزلية لأنها هي التي بها الحياة . وبما أن المادة هي النور والحرارة والقوة والحركة والجذب والقوانين والتوازن فتكون الحياة والمادة كالشيء الواحد لا يمكن انفصالهما وجميع ذلك يخالف ما في التوراة

« ويقول أيضاً ان الستة الأيام التي ذكرها موسى لخلق العالم هي الاثمان الستة التي ذكرها المنود والجنبيهارات الستة التي ذكرها زروطشت للمجوس وان الفردوس الذي كان فيه آدم انما هو بستان الهيسبريو الذي كان يخفوه الثنين . وان آدم هو أديم المذكور في ايزورودام . وان نوحا وأهله هو الملك دوقاليون وزوجته بيراه وهكذا . » وبيالغ في القدح في التوراة ويقول إنها مبتدأة بقتل الأخ أخاه واغتصاب الفروج وتزوج ذوى الأرحام بل البهائم وذكر النهب والسلب والقتل والزنا ، ونحو ذلك من الأمور التي لا يليق أن تنسب لمن اصطفاه الله تعالى وجعله أميناً على أسرار الإلهية . فانظر إلى اجترأ هذا الرجل على نبي الله موسى عليه السلام وعلى كتاب الله التوراة مع أن التوراة هي أساس الأنجيل فما يقال فيها يقال في

الانجيل^(١) ولذلك يقولون إن رسالة عيسى قد نهت عليها اليهود من قبل بقولهم انه سيجيء إليهم مسيح وكلمة مسيح ككلمة مسيس . ومسايس لقب شريف باللغة العبرانية وقد لقب به اشعيا كيروس ملك الفرس كما في الانجيل الخامس والخمسين ولقب به حزقيال النبي ملك مدينة سور ومع ذلك فلم يلتفت هذا الرجل إلى شيء من ذلك فقال ما قال .

« ومن اعتقادات النصارى أيضا ان الله تجسد في صورة عيسى وانه هو الإله وليسوا أول قائل بهذا التجسد بل قيل قبلهم في جزاكا وبرعمة بقدرس الهند وقيل في ويشنو انه تجسد خمسمائة مرة . وقال سكان البيرو من أمريكا ان الإله الحق تجسد في إلههم أودين . وان ولادة عيسى من بكر بتول فتح روح القدس يشبه قول أهل الصين إلههم قويرة ولدته بنت بكر حملت به من اشعة الشمس . وكان المصريون يعتقدون ان أوزيريس ولد من غير مباشرة أحد لأمه .

« وقول النصارى ان عيسى مات ودفن ثم بعث ورفع إلى السماء حيا قال بمثله قبلهم المصريون في أوزيريس المصري وفي أوزيريس من أهالي فينيقية وفي أوتيس من أهالي فريجيه إلا أنهم لم يقولوا يرفعه إلى السماء . وكما قيل ان أودين كان قد بذل نفسه وقتلها باختياره بان رمى نفسه في نار عظيمة حتى احترق وفعل ذلك لأجل نجاة عباده واحزابه فكذلك النصارى يعتقدون ان حلول الإله في عيسى وارساله وموته إنما كان لأجل فداء الجنس البشري وتخليصه من ذنب الخطيئة الأولى خطيئة آدم وحواء وأما ادريس النبي قد رفع إلى السماء بدون أن تكفر عنه الخطيئة ولا شك ان هذا خرافة ولم كلام كثير من هذا القبيل يطول شرحه ولا فائدة في ذكره » اهـ .

(١) المنار : هذه الجملة وما بعدها من كلام الانكليزي . ولا شك ان ابطال التوراة يستلزم ابطال الانجيل ولا يمكن التخلص من ذلك إلا بالاسلام .

(المنار) لهذه الشبهات بل الحميج على عقائد المسيحيين واليهود ترك علمه أوروبا الدين المسيحي فبعضهم صرح بتركه بل وبعض حكوماتهم فإن الحكومة الفرنسية أعلنت إعلاناً رسمياً بأنه لا دين لها وطاردت رجال الدين واضطهدتهم ومن بقي يتظاهر بالدين من عقائدهم فإنما هو لأجل السياسة ولذلك ترى الفلاسفة والعلماء الذين يعبأون بالسياسة يصرحون بعدم الاعتقاد بالوحى مع اعتقادهم بأن الدين ضرورى للبشر ولكنهم لم يجدوا في الدين عندهم غناء . ودين الفطرة محبوب عنهم فانهم ترجموا القرآن الكريم ترجمة فاسدة لم يفهموا منها حقيقة الإسلام . أذكر من ترجمة انكليزية قول المترجم لسورة العصر « إن الإنسان يكون بعد الظهر بثلاث ساعات رديفاً أو قبيحاً » ولوفهم فلاسفة أوروبا بهذه السورة لجزموا بأنها على اختصارها تغنى عن جميع ما يعرفون من كتب سائر الأديان وهى مفهومة فى الجملة لمن له أدنى إلمام باللغة العربية وهى :

« وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ »

إذ يعلم أن المراد بصيغة القسم التأكيد ويعلم أن المراد بالإنسان الجنس وان الصالحات ما يصلح به حال الإنسان فى روحه وجسده فى أفراد ومجموعه وان التواصى بالحق هو من التعاون على الأخذ به والثبات عليه وان الحق هو الشيء الثابت المتحقق وثبوت كل شيء بحسبه وان الصبر يشمل الصبر عن الشيء القبيح كالمعاصى والشهوات الضارة والصبر فى الشيء الذى يشق احتماله كالمداومة على الحق والمصاب .

كان أهل روسيا وأهل اسبانيا أشد أهل أوروبا تمسكاً بالمسيحية ثم ظهر أخيراً من اضطهاد الاسبانيين لرجال الدين ما طير خبره البرق إلى جميع الاقطار واشتغلت به الجرائد فى جميع البلاد . ولما قام الفيلسوف تولستوى الروسى فقد

تعاليم الكنيسة الارثوذكسية وبين بطلان الديانة المسيحية انتصر له المعلومون للعلوم والفنون حتى تلامذة المدارس وتلميذاتها . فهذا هو شأن الديانة المسيحية كلما ازداد المرء علماً ازداد عنها بعداً وإنما كانت أوربا مسيحية أيام كانت في ظلمات الجهل والغباء . وبمعكسها الديانة الإسلامية هي حليقة والعلوم وقد كانت أمتها في عصور المدنية والعلم أشدّ تسكاً بالدين وصارت تبعد عن الدين كلما بعدت عن العلم .

أما الآن فإنتنا لا نتكر أن بعض المتعلمين على الطريقة الأوروبية قد وقعوا في بعض الشبهات وبعضهم أنكر الدين تبعاً للأوربيين الذين أخذ عنهم ولكن السبب في هذا أنه لم يعرف الإسلام ولم يتعلمه قبل العلم الأوربي ولا بعده . ولهذا نطالب علماء ديننا بأن يجتهدوا في جعل زمام تعليم العلوم الكونية بأيديهم لأننا نثق أتم الثقة بأنه لا يمكن أن يرجع عن الإسلام من يعرفه وكيف يختار الظلمة من عاش في النور . وإنت لنا لعودة إلى الموضوع إن شاء الله تعالى (راجع صحيفة ٤٤٨ م ٤) من المنار

المقالة الخامسة

﴿ في الرد على كتاب أبحاث المجتهدين استدلاله بالقرآن على صحة ﴾

« التوراة والإنجيل »

لو أراد الإنسان أن يناقش هؤلاء المسيحيين الذين يؤلفون الكتب في دعوة المسلمين إلى النصرانية وبحكم العلم في مصنفاتهم فيرد على كل خطأ يجب رده لاحتاج أن يكتب على كل صحيفة من صحائفهم السوداء كتاباً مستقلاً لأنهم يرمون الكلام على عواهنه فيخطئون من حيث يدرون ومن حيث لا يدرون ، ويطعونهم بالإيهام والتفخير لأنهم يكتبون لعامة الذين لا يدققون

يقول صاحب كتاب « البحوث » الجدلين لا « المجتهدين » في الفصل الأول من البحث الأول إنه ثبت صحة التوراة والإنجيل « بالحجة الدائمة والبرهان المنطقي » ثم يورد الآيات القرآنية وهي عنده جدلية لامنطقية ويحرفها عن معناها كما حرف هو وصلفه التوراة والإنجيل ، وقد بينا من قبل معنى التوراة والإنجيل وإثبات القرآن لها وكون هذا الإثبات لا يتنافى إرسال نبي آخر بشريعة جديدة أكل منهما وبيننا أيضاً وجه كون الديانة الإسلامية أصلح لحال البشر وأهدى لسعادتهم بل وبيننا كيف أبطل بولس شريعة التوراة والإنجيل وجعل المسيحية إباحية لا قيمة فيها لأمم الصالح وإنما العمدة فيها على الإيمان بأن المسيح جاء ليخلص العالم .

فكيف جاز عند محبيننا من دعاة المسيحيين أن يبطل هذا الرجل اليهودي بذلاقة لسانه وخلافة شريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ولا يجوز في نظرم أن يرسل الله محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام بالبراهين العقلية فيصدق المرسلين ، ويقضى على المارقين ، ويؤنب المحرفين ، ويبين الحق في اختلاف المختلفين ، ويخاطب اليهود والمسيحيين . يمثل ماخاطب عيسى الكتبة والفريسيين ، بأنهم لم يقيموا الكتاب ، بل أخذوا بالقشرو وتركوا اللباب ، وإنهم لو أقاموه لما ساءت حالهم ، ولما وجب خزيهم ولكالم ، ولكن اليهود والنصارى كانوا في زمن البعثة في أشد الخزي والنكال ، وعند آخر طرف من القولية والضلال ، ولذلك تقلص بشمس الاسلام ظل سلطانهم بعد حين ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

أورد صاحب الابحاث سبع آيات من القرآن المجيد وقال إن الآية الأولى تفيد أن الله تعالى أنزل التوراة والإنجيل هدى للناس . نعم وقد اهتمدى بهما من قبل أقوام فسمدوا ثم حرفوا وفسقوا ، وانحرفوا فشقوا ، حتى جاء الاسلام

بالمعادية الكبرى ، والحجة العظمى ، فاهتدى به بعضهم فسمدوا وسادوا على الآخرين ، وكانوا مع أهل الأعلين ما كانوا به مهتدين .

وقال إن الآية الثانية وهى « يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل » تبين صحتها ، وهو كذلك ولكن الآية تنمى لم يذكروها المصنف لأنه غير منصف وهى قوله « وما أنزل اليكم من ربكم » فكأنه يأمرنا أن تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض كما فعل هو ومن على شاكلته بالتوراة . والمراد بما أنزل اليهم من ربهم القرآن فإنه لم ينزل بعد التوراة والانجيل غيره ، فالله تعالى يأمر أهل الكتاب بأن يكونوا مسلمين يؤمنون بالكتب كلها ويبين أن تعلمهم واحتجاجهم على عدم اتباع القرآن بأنهم أصحاب كتاب سماوى لا حاجة لهم بغيره احتجاج باطل وتعمل كاذب لأنهم لم يقيموا التوراة والانجيل ، وأوضح هذا بالآيات الأخرى الناطقة بأنهم حرفوا وبأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به وأنهم لو أقاموها لما حل بهم الخزي والنكال « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » وكذلك وقع لأخوانهم الذين أسلموا فقد فازوا ببركات السماء والأرض ، وسمعة الآية التى نحن بصددنا « ولينزلن كثير منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين وهذه الحجة قائمة عليهم إلى يوم القيامة فإن هؤلاء الدعاة يخدعون عوام المسلمين بوجوب اتباع التوراة ويوهمونهم أنهم متبعون لها . ويقول صاحب الإبحاث إن محمداً يطلب إقامة حدودها ، ولا يوجد فى الدنيا نصرائى يقيم حدّاً من حدود التوراة أو يعمل بأحكامها فى العبادات أو المعاملات . فما لم يشفقوا على المسلمين وينصحوهم لم بإقامة هذه الحدود ولا ينصحوهم لأنفسهم ولا يشفقون عليها ؟ » وقال والثالثة تبين أن الإنجيل منزل من عنده وأنها راضخ لأحكامه ، والآية الثالثة هى قوله تعالى : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » وليس فيها إخبار بأن محمداً عليه الصلاة والسلام راضخ لأحكامه ولكن هؤلاء الناس

يستبيحون أن يحملوا الآيات مالا فهمه لتأييد أهوائهم وبذلك أفسدوا كتبهم وجاؤا يفسدون علينا كتابنا ولكن الله تعالى حفظه من التحريف والتبديل في الآية «قراءتان إحداهما بكسر لام (ليحكم) وهي متعلقة بقوله تعالى قبلها « وآتيناه الإنجيل » أى أعطينا عيسى الإنجيل ليحكم أهله فيه وأهله هم بني إسرائيل لأن القرآن أخبرنا بأنه أرسل إلى بني إسرائيل فعرف أنهم أهله وكذلك الإنجيل الذى عندهم الآن يقول ان المسيح قال « لم أبعث إلا إلى خراف إسرائيل الضالة » والقراءة الثانية بسكون اللام وهي حكاية للأمر السابق عند الإتياء أى آتيناه الإنجيل وأمرنا من أرسل إليهم بالعمل به . ويحتمل اللفظ أن يكون أمراً مبتدأ ورد على سبيل الاحتجاج على النصارى بعدم العمل بالإنجيل المصدق للتوراة والمقتضى للعمل بها على ما تقدم بيانه آنفاً . وإذا جازلدة المسيحيين اليوم أن يحتجوا على المسلمين بأن القرآن يأمرهم بالإيمان والعمل بالتوراة والإنجيل ولا يرون هذا الاحتجاج مقتضياً لإيمانهم بالقرآن فكيف يدعون أن أمر محمد (صلى الله عليه وسلم) لم بالحكم بالإنجيل يستلزم أن يكون هو راضخاً لأحكامه ١٢٢ هـ (ج ١٤ ص ٥٣٦ م ٤)

المقالة السادسة

في الآيات الواردة بشأن التوراة والإنجيل

ذكرنا في النبذة السادسة أن صاحب كتاب الأبحاث أورد سبع آيات من القرآن العزيز وحرفها عن مواضعها لإثبات كتب اليهود والنصارى وإلزام المسلمين باعتقادها والأخذ بها وبينافيتها تحريفه وكون الآيات حجة للمسلمين على اليهود والنصارى لا العكس بالكلام على ثلاث آيات منها وفي هذه النبذة نتكلم على باقية قال « والرابعة تحكم بضلال المسلم الذى لا يؤمن بالتوراة والإنجيل إيمانه

بالقرآن » ونقول ان الآية الرابعة هي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل » والمسلمون يستقدون أن فيهم جاء بالحق وصدق المرسلين وأمر أن تؤمن برسول الله وكتبه السابقة ولكن لم يكلفنا بالعمل بتلك الكتب لأنه أغنانا عنها بكتاب أهدى منها لا نمار في روايته ، ولا نصل في درايته ، مشتمل على جميع ما فيها من صحيح الاعتقاد ، معصوم من التحريف والتبديل ، محفوظ من الضياع والنسيان ، حاو لما لا يوجد فيها من المعارف الإلهية كما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى ، خال من الإضافات التاريخية والآراء البشرية ، التي ألحقت بما بقي من الكتب السماوية على أن هذه الآية قد اختلف المفسرون في مخاطبين بها فقليل هم المناقون المؤمنون في الظاهر المرتابون أو الجاحدون في الباطن كأنه يقول لم أيها المدعون الإيمان بالله وكتابه ورسوله وسائر كتبه ورسله بأفواههم وظواهرهم عليكم أن تؤمنوا بقلوبكم وتطابقوا بين ظواهركم وبواطنكم . وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب لما روي من أن ابن سلام وأصحابه قالوا : يا رسول الله أنا تؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكر بما سواه : فنزلت الآية . وقيل هم المسلمون مطلقا ولا يعتد المسلمون بإيمان مسلم إذا أنكر الأنبياء السابقين أو كذب كتبهم ولكنهم لا يكلفونه بالبحث عنها والعمل بها لأن الله تعالى أغنانا عنها كما قلنا ولأنه قد ضاع بعضها ونسي كما قال تعالى : « فانسوا حظاً مما ذكروا به » وحرّف بعضها كما قال سبحانه « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » وكيف نأخذ بكتاب نسي حظ عظيم منه ربما كان ميّناً ومفسراً للباقي أو فيه ما ليس فيه مما لا بد منه فيكون أخذنا به على غير وجهه أو يكون ديننا ناقصاً ويصدق علينا قوله تعالى في أهل الكتاب « أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » الآية . ونكتفي هنا بالاستدلال على نسيان أهل الكتاب حظاً منه بالقرآن الكريم لأن كلامنا مع الخصم في دلالة القرآن على صدق الكتب وسنثبته بعد بشهادة تلك الكتب وأقوال رؤساء الديانة النصرانية .

قال «والخامسة تبين أن أهل مكة كانوا يعرفون التوراة والإنجيل كما كانوا يعرفون القرآن» ونقول إن هذه الآية هي قوله تعالى « وقال الذين كفروا لن تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ، ولا دلالة فيها على ما ذكر حتى على تقدير أن المراد بالذي بين يديه ، الكتب المتقدمة لأن سبب رفضهم الإيمان هو دعوة القرآن ومن جاء به إلى ذلك الإيمان أى أنهم قالوا : إننا لا نؤمن بالكتاب الذي جئت به يا محمد وقلت إنه من عند الله ولا تؤمن بالكتب التي قلت أنها جاءت قبلك من عند الله . فأين الدليل في هذا على أن أهل مكة كانوا يعرفون التوراة والإنجيل بذاتهما ويتدارسونهما وهم أميون لا يوجد فيهم ، بل ولا في العرب كافة من يكتب إلا أفراد لا يبلغون طرف جمع القلة (قيل إنهم كانوا سبعة نفر) والوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ، « ولا بالذي بين يديه » أنه يوم القيامة وما يتلوه من الثواب والعقاب وهو الأظهر .

قال « والسادسة تبين إقرار محمد بصحة الكتاب ومساواته بإياه بالقرآن » ونقول إنه أورد الآية السادسة هكذا (قل فأتوا بكتاب هو أهدى منهما «القرآن والإنجيل» اتبعه) فانظروا أيها المنصفون إلى أمانة هؤلاء الناس في النقل وإلى تحريفهم في المعنى وهم مخاطبون المسلمين ويعرفون حرصهم على القرآن العظيم وقد أنزل الله تعالى الآية هكذا : « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين » أى أهدى من القرآن والتوراة لا الإنجيل كما زعم مصنف كتاب الأبحاث . والدليل على ذلك قوله تعالى قبل هذه الآية « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا لفتنح آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا آوتى مثل ما آوتى موسى أو لم يكفروا بما آوتى موسى من قبل . قالوا ساحران (وفي

قراءة سحران) تظاهروا وقالوا انا بكل كافرون « وحكمة اسناد الكفر بموسى إليهم بيان طبائع الأمم ونشابه أطوار البشر حتى كأن الحاضر عين الماضي، ولذلك قال الحكماء « التاريخ يعيد نفسه » والآيات حجة على المكابرين ، وبرهان قاطع لآلسنة المعاندين ، وليس فيها مايدل على المساواة بين القرآن والتوراة فى كل شئ. فإن تعجيز المشركين بالإتيان بكتاب من عند الله أهدى مما جاء به موسى ، ومما جاء به محمد لا يقتضى أن ما جاء به أحدهما مساو لما جاء به الآخر. أرايت لو قيل لجاهل يعلم المنطق ينكر على علمائه وكتبه . ألف لى كتاباً فيه يكون خيراً من كتاب إيساغوجى وكتاب البصائر النصيرية : أنقول ان هذا القول يدل على أن السكتابين متساويين من كل وجه ؟؟

وقال : « والسابعة تبين الإقرار الصريح على أن التوراة صحيحة سالمة فيها حكم الله وأن متبعتها ليس فى حاجة إلى أن يحكم أحداً سواها ، ونقول إن الآية السابعة هى قوله تعالى « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » هذا ماأورده المصنف منها وتسمتها « ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » وهى لاتدل على ماقاله لما نبهنا هنا تبيناً .

الآية واردة فى التعجيب من حال اليهود الذين يحكمون النبى ﷺ فى بعض أمرهم وهم غير مؤمنين به كالذين طلبوا حكمه فيمن زنى من أشرافهم وقالوا : إن حكم بالجلد أخذنا بحكمه . وإن حكم بالرجم فلا نأخذ به . مع أن حكم الزانى منصوص عندهم فى التوراة ولكنهم يريدون اتباع الأسهل والأخف . ووجه التعجيب أن هؤلاء القوم ليس لهم ثقة بدينهم ولا إذعان لكتابهم فهم يحكمون صاحب شريعة غير شريعتهم ، وشريعتهم التى يقولون انها من عند الله وفيها حكمه بين أيديهم ومن العجيب أنهم لايقبلون حكمه إذا هو وافق ما عندهم وهذا نهاية البعد عن الإيمان الصحيح الخالص بكتابهم ، ولذلك قال تعالى بعد استنهام التعجب من تحكيمهم « ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » أى ليس

إيمانهم بكتابهم صحيحاً ، لأنهم أعرضوا عنه أولاً فتحاكموا اليك يا محمد ، ثم أعرضوا عن حكمك الموافق له ثانياً ، أو النفي لصفة الإيمان عنهم بالاطلاق . فيدخل فيها ما ذكر ويدخل فيها الإيمان بالنبي ﷺ ، وما جاء به أى أنهم فسدت نفوسهم ، وبطلت فقتهم بالدين مطلقاً حتى لا يرجى منهم أبداً .

وظاهر أن القول بوجود حكم الله أو أحكام متعددة في كتاب لا يقتضى أن يكون ذلك الكتاب كله صحيحاً سالماً من التحريف مشتملاً على جميع ما أنزله الله تعالى . فأنى أقول إن كتاب السيرة الحلبية مثلاً فيه حكم الله . ولا أعتقد أن كل ما فيه من الله تعالى وأنه سالم من التحريف ولا حاجة لغيره بل اعتقد مع هذا أن فيه أقوالاً اجتهادية وآراء للمؤلف ، ونقولاً لا نصح ، وأننا في حاجة إلى غيره . (اهـ ص ٤٥٧٤)

المقالة السابعة

(في الرد على مجلة بشارت السلام)

(وفيه المفاضلة بين اليهود والمسلمين ، وتفضيل محمد على موسى وسائر النبيين)

فرغنا في الجزء الماضي من دحض شبهات الفصل الأول من البحث الأول من كتاب أبحاث المجتهدين وهو الذي عقده مؤلف الكتاب لإثبات الكتب التي يسمونها التوراة والإنجيل بشهادة القرآن وكنا عازمين على أن نبدأ في هذا الجزء بإبطال شبهات الفصل الثاني الذي عقده لإثبات تلك الكتب بالعقل وإذا ورد علينا الجزء الخامس من المجلة البروتستنتية المسماة بشارت السلام فرأينا فيها طعناً شديداً بالاسلام ، وسبعاً طويلاً في بحار الاوهام ، أحببنا أن نقذف عليه بالحق ، ليعلمه فيزهد ، ونعود إن شاء الله تعالى إلى انتقاد ذلك الكتاب في الأجزاء التالية . وهذا الطعن محصور في ثلاث نبد .

﴿ النبذة الأولى عنوانها شجرة النسل المبارك ﴾

هذه النبذة تابعة لمقالة سابقة يمدح فيها بنى إسرائيل ويبين فضلهم وقد أعطاهم فوق قدرهم ولكنه ما قدر الله حق قدره — عظمهم وأساء الأدب مع الله تعالى ، مدح الشجرة الاسرائيلية . وقدح في مقام الالهية ، وله في ذلك كلام « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » فنه قوله — وحاكى الكفر ليس بكافر — : « أولاتقضى من ذلك المعجب ان فاطر السموات والأرض يخفى مع بنى إسرائيل في البرية يخاطبهم ويخاطبونه وبرام ويرون مجده وبينهم موسى الكليم يتجاذب معه اطراف الحديث ويتبادل فصول الخطاب كالآفين المتآفين والخليلين المتصافين » ثم انتقل من هذا إلى غرض سيد المرسلين وخاتم النبيين الذى أكل الله به الدين وإلى انتقاص جميع العاملين . فقال : « فاسمع أيها القارئ المسلم واهت وادهش أليس محمد عندك أعظم الخلق فلم يكن أهلا لأن يخاطب الله رأساً أو يسمع صوته أو يرى مجده مثل عامة إسرائيل فضلا عن خاصتهم بل لم يكن خليفاً أن يخاطب جبرائيل (كما قلتم) إلا وتغشاه غيبة وغطيط يبلفان منه الجهد ويتفصد لذلك جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد » انتهى خلطه وخبطة .

ونقول ان هؤلاء الناس تأصلت فيهم الوثنية ورمخت جذورها في أعماق نفوسهم حتى صار انتزاعها متعذراً ماداموا لا يقيمون للعمل وزناً ، ولا يروون له في كتب الدين معني ، وتفصيل القول في بيان بطلانهم يطول ولا نقي به مجلتنا كلها ولذلك نكتفي بالاحمال فنقول بلسان للمقل المحض لا بلسان الإسلام ليكون أدعى للقبول .

(١) ان المسلمين ينقلون ان نبيهم محمداً ﷺ صعد إلى السماء ورأى من

آيات ربه الكبرى بل يقول أكثرهم انه رأى الله سبحانه وتعالى بلا كيف وكلمه .

جلا واسطة . وموسى (عليه السلام) ومن كان معه من بنى اسرائيل انما رأوا بروقا ، وجمعوا رعدا وبوقا ، وغشيوهم دخان كدخان الآتون ، وارتجف بهم الجبل فارتعدوا ووقفوا من بعيد « وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا ينكلم معنا الله لئلا نموت » بل قال الرب : اذهب انحد رثم اصعد أنت وهارون معك . وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم « كل هذا مصرح به في الباب ١٩ و ٢٠ من سفر الخروج وهو يكذب قول المجلة ان عامة بنى اسرائيل كانوا يخاطبون الله رأسا ويسمعون صوته فإذا هذا التوبة والايهام ؟ . وورد في القرآن « وخر موسى صعقا » وقال في محم « ما فرغ البصر وما طفى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » فهل من الانصاف ان تقولوا نحن الصادقون لأننا قلنا ..

(٢) ان بنى اسرائيل الذين خصوا بهذه العناية وهرون الذى أذن له الرب ان يصعد مع موسى وحده من دون الكهنة والشعب لم يتمسكوا بأعظم الوصايا التى أوصاهم بها الرب يومئذ بل تركوا أولها فى الذكر والرتبة وهى « لا يكن لك آلهة أخرى أماى لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما » الخ فان هرون بزعمكم وزعم كتبكم هو الذى اتخذ لهم العجل فعبدوه من دون الله . ألا يكون هذا الشعب الذى اختص بتلك العناية والتكريم . ثم كفر هذا الكفر الجسيم ، جذبرا بالفضب والمقت من الله وسلب نعمته عنه وإسباغها على شعب آخر كالشعب العربى الذى نزع به الوثنية من ملايين من الناس لم تعد اليهم بفضلهم وكما نعمته . ومن الأدلة على غضب الرب على شعب إسرائيل ما أورثناه فى النبذة الثالثة (ص ٣١٧ ج ١١) عن كتاب حزقيال . فهل يصح استدلاله بعد هذا على أن الله تعالى وقديس لا يزال عاشقا (سبحانه سبحانه) لشعب إسرائيل وغافيا على سائر خلقه وأن عامتهم أفضل من ... ومن الغريب أنه يستدل بآيات

القرآن العزيز على انعام الله تعالى على بني اسرائيل ولا يستدل بها على كفرهم النعم
ورميهم بالنقم !!

(٣) إن القاعدة الأساسية عند المسلمين في الإيمان هي تنزيه الله تعالى عن
مشابهة المخلوقين فإذا ورد في الوحي لفظ ينافي ظاهره التنزيه يصرفونه عن ظاهره
إلى ضرب من التجوز والتأويل . وكأن القاعدة الأساسية عند سوامهم هي التشبيه
والوثنية لا سيما الذين جعلوا من البشر الهاً فإذا ورد في كتبهم كلمة تنافي التنزيه
يضيفون إليها أضعافها ويتفتنون في القياس عليها . ورد أن الله تعالى كلم موسى
مثلاً فالمسلمون ينزهون الله تعالى عن الصوت وعن الجهة والمكان ويقولون : ما ثم
إلا إعلام الهى بصفة تليق بجلال الله سبحانه الله تعالى تكليماً وليست كتكليم
الناس بعضهم لبعض حتماً والا لكان تعالى مشابهاً للمخلوقات وذلك هدم لأصل
الدين والإيمان . وأما النصارى فيقولون مثلاً نقلنا آتفاً عن مجلة بشارت الاسلام
« يتجادب معه أطراف الأحاديث » وانهما كالآلفين ونحو ذلك مما هو صريح
في التشبيه . ولا غرو فمن قال ان المسيح إله يقول ان الاله يخلو بموسى ويتبادل
معه فصول الخطاب « تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »

(٤) ان المجلة خلطت فيما ذكرته عن حالة النبي (صلى الله عليه وسلم) عند
الوحي لأن ذلك مأخوذ من أحاديث لم يفهمها السكاتب فظن أن كلمة (غطى)
في حديث بدء الوحي من الغطيط الذي هو صوت النائم أو صوت صدر النعير
وليس كذلك وإنما معناه (ضمنى بشدة وضغط) ثم خلطها بكلمات من حديث
وصف الوحي والتأثر منه . وزعم صاحبها أن عدم التأثر من الوحي أفضل وأكمل
وهي دعوى افتجرها لا يقوم عليها دليل فأننا نقول إنها كانت حالة من حالات
الوحي ربما لم يحصل نظيرها لموسى فيتأثر تأثر محمد (عليهما السلام) على أنه يوجد
في المفضول ما لا يوجد في الفاضل فلو فرضنا أن موسى امتاز على محمد بهذه الفضيلة
فلمحمد مزايا كثيرة يفضلها بها . ومن التجاوز أن يفاضل مثل هذا السكاتب الذي

لا يقدر الله حق قدره بين أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام بمجرد الهوى وسوء الفهم

﴿ النبذة الثانية من تلك المجلة في سيدنا اسمعيل ﴾

غط كاتب المجلة سيدنا اسماعيل عليه السلام في مقام المفاضلة بينه وبين اسحق . وإذا صح قوله ونقله واستدلالة منهما على أن اسحق أفضل وأنه هو الذييح فمن هذا لا يضر بدين الإسلام شيئاً . ولا يستحق قوله في هذا المقام ان يصرف في نقده شيء من الوقت .

﴿ النبذة الثالثة مؤلفو العهد الجديد والدعوة إلى الدين ﴾

جاء في قسم الأسئلة والأجوبة من المجلة سؤالان أحدهما ان أحد أصحابهم المسلمين سألهم : « هل بطرس وبولس ويوحنا وغيرهم من كتبة العهد الجديد هم رسل الله وهل جاء في العهد القديم نبوة عن ارسالهم كما جاء عن المسيح » وكان جواب المجلة انهم رسل . ونحن نقول ما كان لمسلم يعرف عقيدة الاسلام أن يسأل هذا لأن الرسول في اعتقاد المسلمين هو النبي الذي أوحى إليه بدين مستقل وأمره بقبليغه للناس والنصارى أنفسهم لا يدعون الرسالة بهذا المعنى لبطرس وبولس وغيرهما من مؤلفي الأناجيل ورسائل العهد الجديد . ولأن المسلمين لا يستعملون لفظ النبوة بمعنى البشارة كما هي مستعملة في السؤال واستدلوا على رسالة من ذكر بالمجائب . وأنه ليؤثر عن ولي واحد من أولياء المسلمين أكثر مما يؤثر عنهم وعن المسيح عليه السلام ولم يقولوا ان الأولياء رسل .

والسؤال الثاني من صاحب لهم آخروهو : « لم نفردهم المسيحيون بارسال المبشرين واستمروا على ذلك من عهد ظهورهم إلى الآن » والجواب « ان المسيحية هدى ومضى كان الهدى في القلب لا يملك صاحبه أن يكتبه أبناء جنسه أو يواربهم فيه » ثم قال ان المسيحيين منفردين بالهدى ونحن نقول (أولاً) انه ما قام دين من الأديان في العالم إلا بالدعوة وما دعا أحد إلى دين إلا ووجيله تابعين ولكن منها ما انتشر بقوة

الذاتية أى قوة الهداية والسلطان على النفوس كالإسلام ومنها ما انتشر بالأكراه والالزام كالدين المسيحى فانه بقى ثلاثة قرون لا يقبله إلا أفراد قليلون ثم دخل فيه بعض ملوك الوثنيين فصادروا يلزمون الناس به بالأكراه كما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى بشهادة التاريخ، و (ثانيا) أن بنى إسرائيل شعب الله الخاص الذين نوه بهم صاحب المجلة ما كانوا يدعون لدينهم حتى فى عهد المسيح الذى هو منهم فهل كانت ديانهم فى ذلك العهد ضلالة أم هداية ؟ . و (ثالثا) أن البهاية الذين يقولون فى البهاء المدفون فى عكا كما يقول النصارى فى المسيح يدعون إلى دينهم فى كل مكان وجدوا فيه حتى يوشك أن يكون كل واحد منهم داعيا فهل يقول أصحاب هذه المجلة إنهم على هدى وأنه يجب عبادة البهاء وترك عبادة المسيح أو الجمع بينهما ، و (رابعا) أن الجواب يستلزم أن يكون كل مسيحى داعيا إلى دينه لأنه على هدى وصاحب الهدى لا يقدر على كتمانهم ولكننا نرى الدعوة محصورة فى أفراد منهم يأخذون عليها الأجر من الجمعيات الدينية فهم يدعون ، لأن الدعوة معاش لهم لا لآئنها هدى فى قلوبهم فيفيضون منه على أبناء جنسهم ، و (خامسا) أننا نرى المسيحيين الفضلاء ينتقدون هؤلاء الدعاة المسيحيين المستأجرين ويقولون أنهم يضررون المسيحية ولا ينفعونها ومن أصحاب الجرائد من انتقد كتابه . و (سادسا) أن كل صاحب دين يعتقد أنه على هدى والانسان انما ينبعث إلى العمل باعتقاد نفسه لا بما عليه الأمر فى نفسه ولولا ذلك لم يعمل أحد شرعاً ولم يدع أحد إلى باطل . ولكن قد تحول دون الدعوة الحوائل .

أما الدعوة الصحيحة التى اندفع اليها أصحابها بقوة الاعتقاد فهي دعوة حوارى المسيح عليه الصلاة والسلام وما آمن معهم إلا قليل ودعوة المسلمين عدة قرون آمن فيها الملايين . فقد كان التاجر المسلم يدخل مملكة من ممالك إفريقيا أو آسيا فيدخل كلها فى الاسلام على يديه . ولم تنقطع هذه الدعوة بالمرّة ولكنها ضعفت بضعف الاسلام وقد التزيت الدينية وإهمال علومه الحقيقية وضعف المدنية والحضارة

وإن جمال دول الاسلام أمر الدين واعتماد المسلمين على ملوكهم وأمرائهم وحكوماتهم على خلاف ما يفرضه الاسلام عليهم ولا يزال الشيعة والبهري (الاسماعيلية) يدعون بقدر الطاقة . وهؤلاء الملوك والأمراء هم العقبة الأولى في طريق الاسلام والعقبة الثانية ملوك أوروبا الأقوياء الذين ينصرون دعائهم ويحمونهم بعد أن يوجههم إلى الدعوة حتى إنهم ليحاربون مملكة بحجة الانتصار لتأسيس واحد فالقوة الأوروبية هي أنطقت لسان هؤلاء الدعاة وهي التي أجرت أفلامهم . وسددت لرمي مخالفتهم سهامهم ، فتبين أن جواب السؤال الصحيح هو أن المسيحيين يبشرون لأن السياسة تدفعهم ، والجنيهاً تدفعهم ، والمدافع تمنعهم ، (أي تحميهم) وأما المسلمون فانهم على ضعفهم العلمي والاجتماعي والسياسي لا يزالون يدعون إلى الدين مندفعين إليه بدافع الاعتقاد ولكن على ضعف تؤيده قوة الحق فيكون أنجح وأقرب إلى القبول وطالما شك دعاة المسيحيين من تقدم الاسلام في أفريقيا وسبقه للمسيحية مع شدة العناية بنشرها وكان أقرب تعليل لهم في ذلك أن الاسلام أقرب إلى الفطرة والعقل وسننشر بعض كلام القسيسين في ذلك أن شاء الله اهـ (ج ١٦ ص ٦١٩ م ٤)

المقالة الثامنة

في كتب العهد الجديد

جعل مؤلف الابحاث الفصل الثاني من المبحث الأول في اثبات صحة التوراة والانجيل عقلياً وتقرير هذا الدليل أن الله قادر حكيم فلا بد أن يضع دستوراً ويكتب شريعة لمخلوقاته العاقلة كي تعلم نسبتها إلى خالقها وواجباتها نحوه وواجبات بعضها نحوه وتعرف مصير العالمين وقصاص المصاة وثواب الطائعين المؤمنين

٣ — شهادات

لئلا يكونوا فوضى لا وراثة لهم ولا مشروع كالانعام يدوس بعضهم بعضا وكالاسماك يأكل صغيرها كبيرها ويفنى الناس بعضهم بعضا وتستوى الفضيلة والرذيلة وهذا مالا يرضى به القادر الحكيم . ثم قال : « فاذا لم يكن ذلك الدستور وتلك الشريعة هما التوراة والانجيل فقل لي بعيشك ماها ؟ هل يوجد كتاب قديم مقدس يفي بالغرض المقصود كالتوراة والانجيل ؟ كلا لعمري »

(المنار) إننا لا نؤاخذ المؤلف على تقصيره في تقرير وجه الحاجة إلى الشريعة إذ يعرف القراء هذا التقصير بمقابلته بما كتبناه وما سنكتبه في بيان الحاجة إلى الوحي من دروس الامالى الدينية ولكننا نذكره بأمور إذا تأملها ظهر له أن حاجته داحضة وهي :

(١ و ٢) لماذا ترك الله البشر قبل التوراة ألوا من السنين لا نعلم عددها من غير شريعة إذا كان ذلك لا يرضيه ؟ ولماذا لا تظهر حكمته هذه إلا في بني اسرائيل من عهد قريب وكل الناس عبيده والعلة تقتضى العموم ؟ هذان السؤالان يردان عليه وعلى جميع اليهود والنصارى القائلين بقوله ولا يردان على المسلمين لأن القرآن حل هذا الاشكال بقوله تعالى في الرسل (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وقوله « وان من أمة إلا خلا فيها نذير » فنحن نعتقد أن الله أرسل رسلا في جميع الأمم التي استعدت بترقيها إلى فهم توحيده لا يعلم عددهم غيره تعالى .

(٣) هل كان أهل الصين كالانعام يدوس بعضهم بعضاً ، أو كالسمك يأكل كبيرهم صغيرهم بلا وازع ولا رادع أم كانوا أولى مدنية وفضائل قبل وجود بني اسرائيل وبعدهم ؟ التاريخ يدلنا على أنهم كانوا أرقى من بني اسرائيل في العلوم والمعارف والمدنية والنظام التي تحتاج الشريعة لأجلها ، وكانوا أرقى من النصارى أيام لم يكن عندهم إلا الديانة التي نشأ فيها مقدسهم يولس فما زادتهم إلا عداوة وبغضا واختلافا وتنازعا وحربا واغتيالا في تلك العصور التي يسمونها المظلمة . وكان الصينيون في هدوء وسلام ، ووافق ووثام ، وما قيل في الصينيين

يقال نحوه في الهنود . ولا يرد مثل هذا الاشكال على المسلمين لأنهم بمقتضى هدى القرآن يجوزون أن يكون الله تعالى بعث في الصين والهند أنبياء أرشدوهم إلى ما كانوا فيه من السعادة ثم طال عليهم الأمد فزجوا ديانتهم بالزعات الوثنية الموروثة حتى حولوها عن وجهها نحو يلا كما نعتقدمثل ذلك في النصرارى إذ لاشك أن ديانتهم في الاصل مماوية توحيدية ثم حولوها إلى عبادة البشر من المسيح وأمه وغيرها .

(٤) أن الأوروبيين قد استغنوا بالقوانين الوضعية عن شريعة التوراة وبالأداب الفلسفية عن آدابها وآداب الانجيل فطرحوا الزهادة ونفضوا عن رؤوسهم غبار القل وقد فبحوا بهذا وارتقوا عما كانوا عليه أيام كانوا متمسكين بهذا الكتاب الذى يسمى (المقدس) فكيف تقول إنه لا يوجد غيره لهداية البشر وتهذيب أخلاقهم وهذا الواقع يدل على خلافه . وهذا الاشكال لا يرد أيضا على المسلمين لأنهم يعتقدون أن اليهود والنصارى نسوا حظا عما ذكروا به فى الوحي وطأ على الباقي التحريف والنسخ فلم يعد صالحا لهداية البشر . ويعتقدون أن الأوروبيين أقرب الناس إلى دين الاسلام فى أخلاقهم الحسنة كعزة النفس وعلو الهمة والجد فى العمل والصدق والامانة والاهتداء بسنن الكون والاسترشاد بنواميس الفطرة والاخذ بالدليل وغير ذلك وأنهم كما اهتموا إلى هذا بالبحث والتوسع فى العلم سيهتدون كذلك إلى سائر ما جاء به الاسلام من العقائد والاخلاق والفضائل والأعمال

(٥) ان المسلمين قد ظهر فيهم كل ما ذكره فى وجه الحاجة إلى الشريعة على أكل وجه لم يعرف مثله فى الكمال عند اليهود والنصارى فعرفوا ما يجب لله تعالى وما يجب من حقوق العباد ، واصلح بالدين حالهم واجتمعت كلمتهم وتهذبت أخلاقهم وصمت مدنيتهن فى كل عصر بقدر تمسكهم به والتاريخ شاهد عدل .

(٦) إذا كانت التوراة قد بينت كل ما ذكره من حاجة البشر إلى الشريعة فلماذا وجد الانجيل ؟ وإذا كانت ناقصة فلماذا جعلها الله ناقصة لاننى بالحاجة ،

وكيف يتم له الدليل بناء على هذا القول على إثبات التوراة والإنجيل بالعقل ؟
وهذا الاشكال لا يرد على المسلمين المعتقدين بصحة أصل التوراة والإنجيل لأنهم
يقولون إن كلا منهما كان نافعا في وقته ، ثم عدت عوادم اجتماعية ذهبت بالنفع
والتوفيقية فسادت حال القوم المنتمين إلى السكتانيين فحدد الله الشريعة بالاسلام ،
على وجه فيه الاصلاح العام ، فانقشع بنوره كل ظلام ، وحفظ الله كتابه من التحريف
والتبديل ، ليرجع اليه الذين يضلون السبيل .

(٧) إذا كانت التوراة مشتملة على ما ذكره كما تقدم فلماذا تركها المسيحيون
فقطلوا شرائعها وضيعوا حدودها كما بيناه في بعض نبد الرد السابقة .

(٨) إذا كانت كتب العهد العتيق والعهد الجديد إلهية حقيقية فليماذا وجد فيها
الاختلاف والتناقض والتهاتر ومصادمة العقل الذي لا يفهم الدين ولا يعرف إلا به
وقد تكلمنا على مصادمتها للعقل قليلا في بعض النبد الماضية وسنبين بعد كل
ما ادعيناه هنا تبيننا .

(٩) إذا كانت هذه الكتب إلهية وافية بما ذكره المصنف من حاجة الناس
لشرائع فلماذا وجد فيها ما يخل بذلك أصوله وفروعه كتشبيه الله بمخلقه ونسبة
القواحش إلى الأنبياء الذين هم أحق الناس وأولاهم بالاهتداء بالدين الذي تلقوه
عنه سبحانه وتعالى وغير ذلك مما يناق الآداب الصحيحة كما ألمعنا من قبل وسنزيد
ذلك بيانا ونكتفي الآن بإشارات من لامية الابوصيري رحمه الله تعالى . قال في
شأن العهد العتيق وأهله :

وكفاهم أن مثلوا بمعبودهم	سبحانه بعباده تمثيلا
وبأنهم دخلوا له في قبة	إذ أزعجوا نحو الشام رحلا
وبأن إسرائيل صارع ربه	فرمى به شكراً لإسرائيل
وبأنهم سمعوا كلام إلههم	وصيلهم أن يسمعوا منقولا

وبأنهم ضربوا ليسمع ربهم
وبأن رب العالمين بدا له
وبأنه من أجل آدم وابنه
وبداله في قوم نوح واثنتي
وبأن إبراهيم حاول أكله
وبأن أموال الطوائف حلت
وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم
لم ينتهوا عن قذف داود ولا
وعزو إلى يعقوب من أولاده
وإلى المسيح وأمه وكفى بها
وأبيك ما أعطى يهوذا خاتماً
لنوا بغير الحق السنة بما
ودعوا سليمان النبي بكافر
وجنوا على هرون بالعجل الذي

في الحرب بوقات لهم وطبولا
في خلق آدم ياله تجهيلاً
ضرب اليدين ندائمة وذهولا
أسفا يعض بناته مذهولا^(١)
خبراً ورام لرجله تفسيلاً^(٢)
لهموا رباً وخيانة وغلولا
فكأنما حسبوا الخروج دخولا
لوط فكيف بقذفهم رويلاً^(٣)
ذكراً من الفعل القبيح مهولا
صديقة حملت به وبتولا
لننى بمحصنة ولا منديلاً^(٤)
قالوه في ليأوفى راحيلاً^(٥)
واستهونوا إفكا عليه مقولا^(٦)
نسبوا له تصويره تضليلاً^(٧)

(٢) بداله في البيت وما قبله أى ظهر له فيه رأى جديد وفي سفر التكوين (٦ : ٦) ان الرب حزن وتأسف لانه خلق آدم ويلزمه البداء والجهل وكذلك في نوح وقومه (٢) راجع (١٨ تك) (٣) يريد رمى داود بالزناً بامرأة أوروىا (راجع ١١ صموئيل ٢) ولوط بيناته راجع (١٩ تك) وأما رويلا فيسمونه رؤيين راجع قصة قذفه في (٣٥ تك) (٤) في (٣٨ تك) ان يهوذا زنى بكننته ظناً انها بقى ووعداها مجدى وأعطاها خاتماً وعصائه وعصاه رهناً على ذلك وجاءت منه بتوأم (٥) القصة في (٢٩ و ٣٠ تك) (٦) في (١١ الملوك الأول) ان النساء أمكن سليمان لمباذلة الاوثان (برأه الله) (٧) راجع (٣٢ خروج)

(إلى أن قال)

الله أكبر ان دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قليلا
 طلعت به شمس الهداية للورى وابي لها وصف الكمال أفولا
 والحق أبلج في شريعته التى جمعت فروعها للهدى وأصولا
 لاتذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفأ القنديلا
 درست معالمها ألا فاستخبروا عنها رسوما قد عفت وطلولا
 ولا يخفى أن المطاعن التى تنافى ما ذكره المصنف وغيره من الدليل على حاجة
 البشر إلى الشريعة ولا تليق بالوحي السماوى لا ترد على المسلمين الذين يقولون
 بحقية التوراة والانجيل لما بيناه في الجزء الخامس فراجعهم (اى ج ٥ م ٤) ٥١
 ٦٥٤ م ٤

المقالة التاسعة

في كتب المهدين أيضاً

بيننا في النبذة الثامنة التى نشرت في الجزء ١٧ ما قاله صاحب كتاب
 الابحاث في اثبات كتب المهدين من طريق العقل وفندنا قوله تفنيذا . ونذكر
 هنا انه بعد ما ذكر حاول الاحتجاج على استحالة تغير (التوراة والانجيل)
 فكانت حجة الداحضة على ذلك أن الهياتين اليهودية والمسيحية كانتا منتشرتين
 في الشرق والغرب « وكان الكتاب لاسما الانجيل مترجما إلى كل لغات الأقاليم
 التى دخل بينهم كالعربية والارمنية والحبشية والقبطية واللاتينية من القننين
 اليونانية والعبرانية الاصليتين . (قال) فكيف يعقل ان هؤلاء الألوف يجتمعون
 ويتفقون على تغييره مع اختلافهم في اللغة والعقيدة سيما ان المسيحيين كانوا شيعا
 كل واحدة تناظر الأخرى . ولاشك ان قول المسلمين بتغيير الكتاب هو دعوى

جسود دليل والا فليخبرونا أين الآيات المتغيرة وما هي وما أصلها وما الغاية من تغييرها . فان هجروا ولا مراء انهم عاجزون قل لهم كيف جاز لكم هذا الادعاء والعالم الحكيم لا يقسم على أمر إلا ولديه ما يثبت مدعاه » اه .

والجواب عن هذه المقالة سهل على الناظر في كتب المهدين التي يسمون بمجموعها التوراة والانجيل وفي كتب تواريخ الكنيسة والتاريخ العام . وأما المسلم الذي لم يطلع على ذلك فيكفيه أن يقول ان كل ما خالف القرآن فهو ليس من التوراة ولا من الانجيل لان القرآن ثابت بالبرهان القطعي ومنقول بالتواتر حفظا وكتابة وتلك الكتب ليست كذلك ووحى الله لا يخالف بعضه بعضا إلا ما كان من قبيل الأحكام المنسوخة فلا بد من ترجيح القرآن عند التعارض فيما دون ذلك لانه هو الثابت القطعي كما اعترف بذلك بذلك كثيرون من علماء النصرانية فقد جاء في كتاب (السيوف البتارة ، في مذهب خر يستفوس جباره) لمحمد أفندي حبيب الذي كان تنصر ثم رجع إلى الإسلام بعد ما اختبر غيره : « ان المستر ستوبارت رئيس مدرسة لامارتينييل في لكتو بالهند الانكليزية صرح في كتابه المسمى (الاسلام ومؤسسه) صحيفة ٨٧ بما يأتي بالحرف الواحد : « عندنا براهين قوية عديدة للتصديق بأن القرآن الموجود الآن هو عين ألفاظ النبي محمد الأصلية كما لقن وأملى بمراقبته وتعليمه » وبهذا قال مور الممدود في الوقت الحاضر أمهر وأحنق وأكبر عدو للإسلام » إلى آخر ما استشهد به

أما التغيير والتبديل والتعريف في كتب المهدين فالمسلمون لا يقولون إن هذه الكتب كلها مماوية منقولة عن الأنبياء نفلا صحيحاً وان اليهود والنصارى غيرها بعد ما انتشروا في الشرق والغرب ونقلها كل قوم دخلوا في اليهودية أو النصرانية إلى لغتهم . وإنما البحث في أصلها وكتابتها في أول الأمر ومن تلقاها عنهم قبل ذلك الانتشار العظيم وهنا هو الأمر المشكل ، والداء المفضل ، الذي

لا يجهد أهل الكتاب له ذواء ولا علاجاً من كتب الاسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ؟ يقولون ان موسى كتبها وأودعها ما كتبه به الرب فكانت تاريخاً له ولشريعته الإلهية . كيف يصح هذا الجواب وهذه الكتب تتكلم عن موسى بضمير الغيبة وفي آخر فصل منها ذكر موته وهفته ؟ يزعم بعضهم أن هذا الفصل كتبه يشوع وأتى يصح هذا وفي الفصل الحكاية عن يشوع وأنه امتلاً بروحاً وحكمة فسمع لكل بنى إسرائيل فهذه حكاية عنه من غيره . ثم كيف يدلس يشوع ويلحق بكتاب موسى ما ليس منه من غير أن ينسبه إلى نفسه ؟ ولعلهم اعتدلوا على ذلك بأن كتاب يشوع قد ابتدئ بواو العطف فان أول عبارة فيه هي : « وكان بعد موت موسى عبد الرب » الخ . وهناك دليل على أن الفصل الأخير ليس ليشوع أقوى من الحكاية عنه ومن تبرئته من التدليس وهو أن وفي الفصل المذكور بعد حكاية دفن موسى هذه الجملة « ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » فهي تدل على أن الجملة كتبت بعد موسى بزمن طويل ولو كانت ليشوع لم تكن كذلك . وحسبنا أنهم من ذلك في شك مرعب فكيف يوثق بهذا الكتاب ويقال إنه متواتر وعن التواتر والأصل شكوك فيه ؟

في الفصل الحادى والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ما نصه . « ٢٤ ففقد ما بكل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب إلى تمامها ٢٥ أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلاً ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب ليكون هناك شاهداً عليكم ٢٧ لأنى أنا عارف بمرادكم وراقبكم الصلابة : هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرق بعد موتى ٢٨ اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لا تطلق فى مسامعهم هذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ٢٩ لأنى عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزينون عن الطريق الذى أوصيتكم به » الخ

فهذه هي التوراة التى كتبها موسى على حدة فى كتاب مخصوص وهى كلام

الله الذي صدقه القرآن فأين هي ؟ ماذا فعل بها أولئك الذين نقل فيهم موسى
إنهم يفسدون بعده ويزيغون عن طريق الحق الذي هو التوراة ؟ وماذا أصاب
التوراة من فسادهم وزيفهم وغلط رقابهم ؟؟ التوراة معناها الشريعة وهذه الاسفار
الخمسة كتب تاريخية يوجد فيها من أحكام تلك الشريعة مثلما يوجد في كتب
السيرة النبوية عند المسلمين من آيات القرآن وأحكامها وليست السيرة هي
القرآن والشريعة الإسلامي . وكما يوجد في السيرة النبوية مع التحري في روايتها
ما يضح وما لا يضح فأجدد بتاريخ موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل أن يوجد
فيها ما يضح وما لا يضح وهي لم يتحر فيها كاتبها بعض فحري رواة المسلمين لسيرة
نبيهم بل قدمننا ان كاتب تلك التواريخ مجهولون

اعترف صاحب كتاب « خلاصة الأدلة السنية » على صدق أصول الديانة
المسيحية ، استظهارا بأن نسخة موسى « رفعت من مكانها مرة وقعت في خطر
لما غلبت عبادة الاصنام في ملك منسا وأمون وانقطعت عبادة الله الحقيقية بين
الاسرائيليين وفي تلك المدة طرحت بين الرث (١) حيث وجدت في ملك
يوسيا الصالح » ثم قال : « والامر مستحيل ان تبقى نسخة موسى الأصلية في
الوجود إلى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها . والمرجح انها فقدت
مع التابوت لما خرب بختصر الهيكل . وربما ذلك سبب حديث كان
جاريًا بين اليهود على أن الكتب المقدسة فقدت وأن عزرا الكاتب الذي كان
نبيًا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها وبذلك عادت إلى
مزلتها الأصلية » اهـ

فهل ينخدع المطلع على هذه الأقوال وأمثالها بقول صاحب كتاب الابحاث

(١) الرث جمع رثة بالكسر وهي سقط المتاع والخلقان كالحراق البالية
وغيرها مما أُلقي في أخس مكان ولا يلتفت اليه

إن الكتاب كان محفوظاً بين الألوف بلغات كثيرة ؟ ؟ هؤلاء علماء اللاهوت في مذهبه يعترفون بأن اليهود فقدت منهم عبادة الله بعدما تغلبت عبادة الأصنام وأن نسخة التوراة الوحيدة فقدت ويستحيل وجودها . ويعترفون بأن اليهود كانوا يقولون بأن جميع كتبهم فقدت لأنها كانت في الهيكل وقد خربه الوثنيون وأخذوا الكتب وأتلفوها . فلم يبق لهم مستند لأصل دينهم إلا زعم يوسفوس بأن كل سبط من أسباط بني إسرائيل كان عنده نسخة من التوراة ولكن أين هذه النسخ ؟ إن صح قوله — وهو رواية واحد بما يؤيد دينه — فذلك هي النسخ التي أتلفها يختصر فيبقى معنا شيء واحد وهو ادعاء أن عزرا الكاتب كتب جميع كتب اليهود كما كانت بل صحح غلطها الأول وكتبها أحسن مما كانت ، وهنا يسأل المسلمون عن الدليل على ذلك وعن سبب وقوع الغلط في النسخ حتى احتاجت إلى إصلاح عزرا وعن نسخة التوراة التي هي شريعة مستقلة كما كتبها موسى وعن السند المتصل المتواتر إلى عزرا بذلك ؟ ثم أنهم يقولون إذا جاز أن يصحح عزرا الكاهن خطأ الكتب المقدسة فلم لا يجوز ذلك لمحمد رسول الله وخاتم النبيين ؟ اللهم إن الغرض مرض في القلب يحول بينه وبين قبول الحق فألمهم هؤلاء الناس بأن يطلبوا الحق بصدق وإخلاص وافصل بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الفاصلين .

هل جاء في كتبهم المقدسة أن عزرا كتب التوراة وسائر الكتب المقدسة كما كانت ؟ كلا أنه جاء في الفصل السابع من سفر عزرا أنه في ملك ارتخشستا ملك فارس صعد عزرا (وذكر نسبه إلى هرون وهو يدل إلى أنه بخمسة عشر أباً) هذا من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاهها الرب إليه إسرائيل . وأنه جاء إلى اورشليم في الشهر الخامس من السنة السابعة لارتخشستا الملك . قال « (١٠) لأن عزرا هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها ول يعلم إسرائيل فريضة وقضاء (١١) وهذه صورة الرسالة التي أعطاهها الملك ارتخشستا إلى عزرا

الكاهن كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل (١٢) من ارتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب إله شريعة السماء « إلى آخره

هذا هو دليلهم من كتابهم المقدس على ان عزرا كتب النوراة والكتب المقدسة بالإلهام بعد فقدتها وهو كما ترى لا يدل على ذلك بل قصارى ما يعطيه انه كان من كتبة الدين أو الشرع كما تقول ان فلاناً الصحابي كاتب الوحي فلو فرضنا أن القرآن فقد من المسلمين وأنه لم يحفظ في الصدور ثم ادعينا ان معاوية كتبه بالإلهام لأنه وصف في بعض كتب التاريخ الدينية بأنه كاتب الوحي فهل يقبل منا أهل الكتاب هذا الدليل .

ثم ان الملك ارتحشستا الذي شهد لعزرا هذه الشهادة التي لانعرف سببها أمره مبهم في التاريخ لا ينطبق على روايات العهد العتيق المضطربة في سفر تلمحيا وسفر عزرا فلا يعرف اهو ارتحشستا الأول الذي هو اردشير الملقب عند الفرس بزرادشت أم هو ارتحشستا الثاني فان ذكر عزرا له بممد داريوس يدل على أنه الأول والتاريخ ينقض هذا ، ولا نطيل في بيان الاضطراب فلم يرجع اليه من إ شاء في كتب التاريخ وفي دائرة المعارف ملخص منه وهذا الاضطراب يبطل الثقة بالرواية والمسلمون لا يقبلون خبراً عن نبيهم روهه بالاسناد المتصل القريب إذا كان فيه مثل هذا الاضطراب العجيب . اهـ ص ٧٤٣م ٤٠

المقالة العاشرة

﴿عصمة الأنبياء والخلاص﴾

(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ، مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُحْزَنَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَلَيْكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا)

ذكرنا في نبذة سابقة أننا طلاب مودة والتثام وإن المناقشات في الأديان والمذاهب قليلة الجدوى وربما أضرت ولم تنفع لأن أكثر الناس مقلدون وما أضيع البرهان عند المقلد ! وقلنا إن هؤلاء المبشرين الانجيليين اضطرونا إلى الرد على تمويههم بما يرسلون الينامن الكتب والجرائد التي تظعن في عقائد المسلمين ويلحون علينا بأن نرد عليها وقد انضم إلى إلحاحهم طلب كثيرين من المسلمين يقولون ليس في القدر بحجة إسلامية اثبتت لخدمة الدين مع العلم إلا المنار فيجب عليها رد الشبهات التي توجه إلى الإسلام . فبهذا وذلك صار من الواجب علينا بحكم ديننا الرد على هذه الكتب والجرائد ونأتم شرعا بتركه .

« كلما داويت جرحاً سال جرح » فقد كنا نرد على آخر كتاب لهم جمع خلاصة شبهاتهم وإذا نحن بجريدة بشار السلام ترد إلينا من غير طلب ولا سبق مبادلة . ثم في هذه الأيام أرسلت إلينا جريدة (راية صهيون) الانجيلية مكتوباً عليها : أرجو الاطلاع على مقالة خطية الأنبياء والرد عليها

تكاثر الظباء على خراش فلا يدرى خراش ما يصيد

ولكن القليل من آيات الحق يكفي لإزهاق الكثير من الباطل لذلك يقول :
 ابتداء هذه المقالة « إن المسلمين يقولون إن الله أرسل أنبياء كثيرين إلى
 العالم وأعطيهم سنة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى أي المسيح ومحمد .
 وكثيرون يقولون بأن كل هؤلاء الأنبياء كانوا بلا خطية ولذلك كانوا قادرين على
 إيهاب الخلاص لتلاميذهم ولكن لو كانوا خطاة فما كانوا يتيسر لهم ذلك إذ لا يمكن
 للخطاة أن يخلصوا الآخرين من الخطية » هذا ما قاله بحروفهم تعبه بدعوى أن من
 عدا المسيح من هؤلاء الأنبياء كانوا عصاة مذنبين مستدلاً بما جاء في قصصهم في
 كتب العهد العتيق .

فأما مصيبة آدم فعروفة ، وأما نوح فقد ذكر أنه شرب الخمر واعترف
 الكتاب بأن التوراة لم تذكر له خطيئة غير هذه ولكنه جزم بأنه لا بد أن يكون
 خاطئاً . وأما إبراهيم « فقد ورد عنه أنه كذب مرتين من باب الخوف من الناس »
 وأما موسى فذكر الكتاب من خطيئته أنه « حينما أمره الله أن يذهب إلى
 فرعون قد أظهر خوفاً عظيماً وجبناً زائداً جعل الله أن يغضب عليه . وحينما كان
 بنو إسرائيل في البرية بعد خروجهم من أرض مصر قد فرط موسى مرة بشفتيه
 حتى أن الله لم يسمح له نظراً لهذا الذنب أن يدخل إلى أرض كنعان بل جعله
 أن يموت في القفر ، واستدل على خطيئتهم من القرآن العزيز بما ورد من الآيات
 في طلبهم المغفرة إلا المسيح فإنه لم يرد عنه ذلك . وختم المقالة بعد كلام طويل
 في الثناء على السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بدعوة المسلمين إلى الإيمان به
 (وهم المؤمنون به حقاً) والاتسكال عليه في خلاصهم (وهم لا يتكلمون إلا على الله
 وحده) ويعني بالإيمان به أن يكون موافقاً لمذهب بروتستنت فإنه كتب نبذة
 في الصفحة الأولى من هذا العدد بأن سائر الطوائف « مسيحيون بالظاهر وأما
 في الحقيقة فليسوا كذلك » وأن الله سيلقيهم في النار الحق لا تطفأ . أما الرد
 على المقالة فمن وجوه

(الاول) أن أفضل الأنبياء عند المسلمين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ويسمونهم أولى العزم وأيس آدم منهم لقوله تعالى « ولم نجد له عزماً » ومن العلماء من منع التفاضل بين الرسل وقال إن ذلك لا يعرف إلا بالوحي .

(الثاني) إن المسلمين لا يعتقدون أن الأنبياء هم الذين ينجون الناس بسبب عصمتهم من عذاب الله ويدخلونهم بمجاههم في رحمته وإنما يعتمدون على الله تعالى وحده في ذلك ويعتقدون أن سبب النجاة الإيمان الصحيح والعمل الصالح وأن الأنبياء ما أرسلوا إلا مبشرين ومنذرين فهم يعلمون الناس الإيمان الصحيح المقبول عند الله تعالى والعمل الصالح الذي يرضيه فمن آمن وعمل صالحاً ترجى له النجاة بفضل الله تعالى الذي وفقه وهدهد ومن كفر بعد بلوغ الدعوة بشرطها فلا يزيد الظالمين كفرهم إلا خساراً

(الثالث) إن هؤلاء المعارضين لم يعرفوا معنى عصمة الأنبياء عند المسلمين فتوهوا أنهم يقولون بذلك لا ثبات أن الأنبياء ينجون الناس لأنهم معصومون . فتجيبهم بأن المسلمين قام عندهم الدليل العقلي على ذلك وهو أن الله تعالى جعل الأنبياء هداة ومرشدين ليقنطري بهم فلو ابتلاه بالمعاصي التي هي مخالفة الشريعة التي يأتون بها لما كانوا أهلاً للهداية لأن الله أودع في فطرة البشر أن يقتدوا بالأفعال أكثر من الأقوال وقد أخبرونا أن الله تعالى أمر بالاعتداء بهم فلو كانوا يرتكبون مخالفة أمره لكان في أمره بالاعتداء بهم تناقض وأمر بالشرف وهو محال . وليس معنى عصمتهم أنهم مخالفون للبشر في جميع أطوارهم فلا يخافون مما يخيف في الدنيا ولا يتألمون مما يؤلم ولا يتوقون الشر (سنوضح المقام في الآمال الدينية بعد)

(الرابع) أنه لم ينقل عن سيدنا نوح في العهد العتيق إلا شرب الخمر وفي هذه الأناجيل أن المسيح شرب الخمر أيضاً . فان قلنا بأن من لم ينقل عنه أنه عصي

يصلح أن يكون مخلصاً للناس فنوح يصلح لذلك كالمسيح بل إن من صالحى هذه الأمة المحمدية كثيرين لم تحفظ عليهم معصية .

(الخامس) ما نقله عن سيدنا ابراهيم مصرح بأنه كان للضرورة وإرادة التخلص من شر وظلم أكبر من كذبة فى الظاهر لها تأويل فى نفس القائل كقول ابراهيم عن زوجته : هذه أختى : يعنى فى الدين . ومن القواعد المعقولة والمشروعة انه إذا تعارض ضرران يجب ارتكاب أخفهما فإذا حاول ظالم أن يغتصب امرأتك ليسترقها أو يفجر بها وقدرت أن تنجىها منه بكلمة كاذبة وجب عليك ذلك وتكون الكذبة معصية فى الصورة طاعة واجبة فى الحقيقة .

(السادس) أن ما ذكره عن سيدنا موسى من الخوف ليس فيه معصية لله ومخالفة لشريعته وإنما هو شأن من الشؤون البشرية الجائرة وهو خوف هيبه وإجلال للوظيفة العظيمة التى كلف بها .

(السابع) إذا لم يصح الدليل العقلى على عصمة الأنبياء فعدم نقل المعصية عن المسيح لا ينافى وقوعها منه لأنه لا يلزم من عدم العلم بالشئ عدم وجوده فى نفسه (الثامن) ان طلب الأنبياء المغفرة من الله تعالى لا يدل على انهم كانوا بعد النبوة عصاة مخالفين لدين الله تعالى ولكنهم لمعرفهم العالية بالله تعالى وما يجب له من الشكر والتعظيم يعدون ترك الأفضل إذا وقع منهم فى بعض الأوقات ذنباً وتقصيراً . ألم تر أن للمقربين من الملوك والسلطين ذنوباً غير مخالفة لقوانين يطلبون من الملوك العفو عنها « والله المثل الأعلى » وسيأتى إيضاح ذلك فى الأمالى الدينية .

(التاسع) إذا فرضنا أن دليل المسلمين على عصمة الأنبياء غير صحيح فلا حجة للمسيحيين عليهم فى شئ وإنما ذلك شبهة على الدين المطلق اهـ ص ٨١٦ م ٤

المقالة الحادية عشرة

(الخوف والرجاء عند المسلمين * والطعن بهما علي الصحابة والتابعين)

نشرت مجلة بشارت السلام الانجيلية في الجزء الرابع منها نبذة في الطعن بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة الكرام خاصة وذلك أن عابتهم وعابت دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله وهذا مبلغ القوم من العلم بالله وبتدين الله — أثبتت « أن كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعيم بنعيمها بناء على ما لهم من المواعيد الكريمة في قرآنهم » إلى أن قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكلمات الباري تعالى » ثم قالت مستدركة إن أولى العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعبد والصلاة والابتهاال إلى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة أنهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشعور بشغل حمل خطاياهم . واستشهدت على المألول دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وسفيان الثوري وعدت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطاً لقول عند هؤلاء المشاعين وفي العبارة أيضاً تحريف وليست الأمانة من شروط النقل عند هؤلاء المبشرين

ومالنا للبحث في الروايات التي نقلتها وبيان التحريف وضمف الضعيف، نضرب عن ذلك صفحاً وعن العبارات الذي أساء بها الكاتب الأدب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخرونهم النوع الانساني ولو صدق المسلمون هذه الكتب التي تسمى التوراة وسمح لهم دينهم بتفضيل أحد على الأنبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الأئمة على أنبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلاً نقل القوم عن أنبياءهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برأهم الله مما قالوا

نفض الطرق عن هذا وبين لقراء أن الغرض من ذم الخوف والرجاء الذين هما
الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إباحة المعاصي والشُرور التي هي العنوان
لبشارتهم ، ولجاذبة إلى ديانتهم ، وهي ان النجاة في الآخرة من العذاب والحياة
الأبدية في الملكوت إنما يحصلان باعتقاد ان الاله لم يجد وسيلة لنجاة البشر من
ذنوب أبيهم آدم الا بمحاوله في جسم إنسان وتسلط ظانفة كانت أفضل الشعوب
عليه وصلبها إياه وصيرورته ملعوناً بحكم الناموس والشرعة ١١ فن أطفأ سراج
عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجي الذي يرث الملكوت الأعلى
وان قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم العباد وكان آفة العمران .
ولذلك صرح الكاتب الذي لا أقدر ان أصفه إلا بكونه مبشراً داعياً إلى هذه
العقيدة بأن سبب خوف أي بكر وعلى وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء
يعنى أنهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا عاشوا آمنين من مكر الله وعذابه
يسرحون ويمرحون في أهوائهم وحظوظهم . والحاصل أن المسلم الذي يغلب
عليه الرجاء بفضل الله ووعد المحسنين بالنعيم جاهل ضال ، والذي يخاف الله
هيبة وتعظيماً أو لاتهم نفسه بالنقص في الأعمال الصالحة النافعة للناس ، وفي
المعارف والكمالات المزية للنفس ، فهو جاهل ضال ، وأن الإيمان بالله وملائكته
وكتبه ورسوله من غير تفرقة بينهم ، وتهذيب الاخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك
لا ينفع المسلم الصادق ولا يغني عنه شيئاً . فما حيلة المسلم المسكين إذا ابتلاه الله تعالى
بسلامة الفطرة ونور العقل ، فلم يقبل تلك القاعدة التي تفصى منها الذين تربوا
عليها تقليداً لما عقلوا وميزوا ، على أن كتب القوم لآخلو من نصوص تدل على
أن رسلم ومقدسيهم كانوا يخافون من الله تعالى ويرجون رحمته ، لأنهم لم يكونوا
إباحيين ، بل كانوا قوماً صالحين .

إن القرآن الحكيم علمنا أن دين الله تعالى واحد في جوهره ، وأن جميع الانبياء
وصالحى المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتزبيبه عن صفات الحوادث

وإفراده بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور والرجاء الباعث على الخلو
والصلاح. واننا نرى جميع عقلاء المسيحين يوافقونا على هذه القاعدة ويودون
أن يهتدى إليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر
لا ولا وشقاء عليهم ومثاراً للخلاف والشمعنا والبنفضاء بينهم.

وقد ذكر الإمام الغزالي أنواعاً للخوف كخوف الموت قبل التوبة وخوف
نقض التوبة ونكث العهد، وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق، وخوف زوال
رقة القلب وتبدل القساوة بها، وخوف الميل عن الاستقامة، وخوف استيلاء
العادة في اتباع الشهوات المألوفة، وخوف الفرور بالحسنات، وخوف البطر
بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله، وخوف الاستدراج بتواتر النعم،
وخوف انكشاف غوائل الطاعات بأن يبدو للمرء ما لم يكن يحسب، وخوف
تبعات الناس عنده في نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضرار سوء وخوف ما عساه
يظراً عليه في مستقبله، وخوف نزول البلاء، وخوف الاعتزاز بزخرف الدنيا
وخوف اطلاع الله على السريرة في حال الغفلة، وخوف سوء الخاتمة. ويمكن
استنباط أنواع أخرى. وأعلى الخوف خوف المهابة والجلال لله عز وجل. وكل
ذلك من الذنوب عند هؤلاء المشرين اه ص ٩٨ م هـ

المقالة الثانية عشرة

(إيمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشارت السلام نبذة تحت هذا العنوان ملخصها : انه يجوز على مذهب أهل السنة « أن يؤمن أحد بالإسلام إيماناً حقيقياً ويبقى أعماله شريرة » واعترض الكاتب على هذا اعتراضين أحدهما « أن الإيمان الذي لا ينشئ في صاحبه نوبة وعملًا صالحًا بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منافعه . . . فهو إيمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شقاوة المخلوق » . ثانيهما « عجز الإيمان الحمدي عن الخلاص التام » وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطلب من الإنسان أن يكون كاملاً ولكنها لا تدل على أن المؤمن يكون موصوماً من القنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل أن الإيمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الإيمان عملاً صالحاً .

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ، ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتنوا به عامة المسلمين الجهلاء ، ولا يبالون إن كان الكلام حجة عليهم . عهدم الجديد فاطق بأن البر والعمل بالناموس الالهى لا يغنيان عن الإنسان شيئاً وإنما يغنى عنه الإيمان بالمسيح فقط ، وبذلك ينجو ويرث الملكوت ، وإن كان شر الأشرار وأجرف انفجار ، والقرآن لا يكاد يذكر الإيمان إلا مقروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ما عدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الإيمان .

قال تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وقال عز وجل
 (ليس بآمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يجزيه ولا يجدي له من
 دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
 فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) وقال جل ذكره (إنما المؤمنون الذين
 إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون *
 الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا) وقال تقدست
 أسماؤه (والعصر إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
 بالحق وتواصوا بالصبر) هذه السورة القصيرة أجمع للنضائل وأبلاغ في الهداية من
 جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية، وهي كافية لأن تكون ديننا
 مستقلاً لقوم يتدبرون

ان الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكتاب وأمثاله إلى المسيحية هي
 أن خلاص الانسان محصور في أن يؤمن — أى يقول وان لم يعقل — بأن الاله
 مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين ، فالثلاثة واحد وأن أحد
 الثلاثة وهو الابن حل في جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا
 الانسان الاله وابن الاله وإنساناً وابن الانسان وصار هو الله، ثم إنه سلط أعداءه
 على نفسه فصلبوه واحتمل الألم واللغة الالهية لأجل خلاص الناس من ذنب
 أيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لا يطلب هذا الكتاب وأمثاله ممن يدعونه إلى دينه إلا هذا القول الذي
 لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجريها على جميع المعاصي والجاهل يحب
 أن تباح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقولها . فإذا كان دعاة النصرانية قد بدا
 لهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة
 فأية مزية لديهم غير تلك الكلمة التي لا تعقل ولا تفهم ؟ ألا يعلم انه إذا دعا
 مسلماً إلى دينه وطالبه بترك المعاصي ويعمل الصالحات فإنه لا يستطيع أن يصيده

مهما كان جاهلا لأنه يقول ان هذا يكلفني بمثل ما يكلفني به ديني ويزيد على ثقله آخر وهو الايمان بما لا أعقله ولا أفهمه ، وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان الله عجز عن انجاء الناس بدون أن يهين ذاته العملية بالخلول في أحدهم وبالتألم ويعلمن نفسه.

المسلمون يعتقدون أن الايمان يهذو ويصلب الأخلاق لمصحح لا ، وأنه يجوز مع ذلك أن تغلب على المؤمن شهوته أو غرضه فيعمل شرا لاسيما إذا لم يترب على أعمال الايمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع وينوب عن قريب . قال تعالى (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) وقال سبحانه (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم) ومن التوبة أن من يعمل صالحا يكفر سيئته (ان الحسنات يذهبن السيئات) فإذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا ما لا اختصار أن الايمان عند المسلمين يشر الأعمال الصالحة وان العمل لاقبسه له في إيمان النصارى . أما قول جملة بشائر السلام في نتيجة الاعتراض الأول : « وبناء على ما تقدم كل إيمان لا يكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما إيمان كاذب بالاله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو إيمان صادق لكنه باله باطل خيالي قائم على الأوهام » فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن إيمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان إيمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو الفم لأن العقل ينكرها ولا يستطيع أن يتصورها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم علي الإسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجن في جهنم مدة لا تنتهي عن تسعائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يعتمد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فك في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولا حاجة علينا إلا في القرآن الكريم والأحاديث

الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعقد به مالم يكن منقولاً على أنه لا يجب الإيمان فيما يتعلق بعالم الغيب لا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جداً . وهذا الذي قلناه هو الأصل المعول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) فليس خطاباً للمسلمين كما زعم السكاكيب لأن الآيات التي قبلها كلها في الكفار ، فقيل إن الخطاب لهم خاصة ، وقيل أنه عام والمراد بمرور المؤمنين حيثئذ المرور عليها والجنو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة .

(كلمتان) أختم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون إلينا هذه الجرائد لترد عليها : لا يجوزكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تعتادوه ولا تعتدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الفيرة المليئة والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لا يزيد الحق إلا ظهوراً

والكلمة الثانية للنصارى المعترضين . الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي : أننا نعتقد انكم تطعنون بدين الإسلام الذي لولاه ما ثبت دين في هذا العصر المنير مأجورين لامعتقدين بما تقولون وما تكتبون ، ولذلك يترك أحدكم التبشير إذا هزل من الجمعية ومنع عنه الراتب الذي كان له ، ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم أن دين الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والإخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع العباد ، وكنتم تزعم أن الإسلام قد خدم العالم الإنساني بهذا الإصلاح المنقح وأنه هو دين الأنبياء أجمعين ظهر في أكل ارتقاء ، وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولاكن الهوى يصدكم عن هذا فاحملوا على مكانتكم إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون . اهـ ص ٤٣٦ م

المقالة الثالثة عشرة

﴿ سخافة بشارت السلام في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشارت السلام الإنجيلية في جزئها التاسع نبذة في الجاهلية والاسلام زعمت فيها أن الاسلام في عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توسعت في الكلام على الركن الأعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية على وثنيتهما !!! واحتجت على ذلك بستة أمور :

(١) كون الايمان بمحمد محمداً بعد الايمان بالله تعالى ، فجعلت هذا شركاً بالله ، وما هذا إلا الايمان بالوحي والرسول ، فان من ينكر نبوة موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام . فيظهر أن الايمان بالوحي شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلي . وتعبيره بمقارنة الاسمين في الشهادتين لا يزيد التشبه قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أشهد أن محمداً عبده ورسوله » فهل يكون العبد رباً وإلهاً ؟ ؟ وأما المقارنة في الذكر قولاً وكتابة فهي لا تمنع إلا إذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرّة ؟ ألا يقول الكاتب : رحم الله فلانا : وهو هذا ؟ وقد كهرت على الكاتب كلمة توجد في بعض كتب المسلمين ، وهي أن كلّي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والأرض . القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فمن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم يصدق بأنها وردت في الحديث بالمرّة فلا يعدّ هذا ولا ذاك نقضاً لإيمانه ولا نقضاً منه ، وإذا قلنا إن هذه الكتابة ثبتت وصحت فأى وثنية فيها ، والإله إله والعبد عبد ؟ نعم إن ذلك يدل على التشريف ، وهل يقول الكاتب إن جميع عباد الله سواء في معرفته وعبادته ونفع خلقه وأن تشريف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله ، وأن التوحيد الجاهلي هو أن يعتقد الانجيلي بأن موسى كفرعون وإبراهيم كشمرد بلا فرق ؟ هذا هو فهم دعاة النصرانية في الدين ، وهذا ما ينعمون من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين

(٢) زعم السكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوه
سواء في أخذ الأحكام مع اعتقادهم بأن القرآن كلام الله والحديث كلام محمد .
وزعم أن الشيعة تركوا الحديث فاستنظفوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فاهل
السنة لا يقولون بأن القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . القرآن
أصل الدين والسنة مبينة له قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم) وللاقرآن خصائص ومزايا ليست للسنة كوجوب الإيمان بجميع ما فيه وكالتعبد
بتلاوته ، وأما الأحاديث فلا يضر في الإيمان إنكار أى حديث منها (ومن ثبت
عنده شيء بالتواتر لا يستطيع إنكاره وإن لم يكن حديثاً فلا يجيء الحديث المتواتر
هنا) وهى على أقسام فما كان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز
أن يكون خطأ كما في حديث تأبير النخل الصحيح ، وفيه انه ﷺ قال « أنتم أعلم
بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمور الدين فإما أن يكون عن اجتهاد وإما أن
يكون عن وحى . أما اجتهاد الأنبياء فقد جوز علماء أهل السنة أن يقع فيه الخطأ
وليسكن لا يقرون عليه ، بل يأتيهم الوحي ببيان الحق فيه كما في واقعة أسرى بدر .
وأما ما يقولونه عن وحى من الله فيجب الأخذ به ، ويفرق المسلمون بين القرآن
وبين الوحي الذى يعبر عنه النبي بمباراة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً
وحديثاً بما تقدم ، وبأنه إذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون
الحديث . فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن أن يساوى القرآن
ولذلك سأل النبي ﷺ معاذاً عند ما أرسله إلى اليمن بماذا يحكم فقال
بكتاب الله ، وانه إذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك ، وهذا هو الروى عن
أبي بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين ، أى انهم كانوا ينظرون في القرآن أولاً فان
رأوا فيه حكم ما يطلبون قضاؤه وإلا بحثوا في السنة وعملوا بها . فلينظر المسلمون
كيف يخترع المسيحيون لهم أصولاً للدين ، ويبتون عليها رعيهم بالشرك المبين ،
فهذا هو تعصبيهم وهذا تساهلنا والحمد لله رب العالمين .

(٣) قال : « الثالث ذكر اسم محمد مع اسم الله في مواضع جمة من القرآن . نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والمحبة » الخ . وقال الكاتب انه لا يذكر الشواهد إلا من سورة التوبة والثالثة من الأحزاب ، وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على انه نقلهما بنفسهما فكتب (ان الله برىء مما يشركون . ورسوله) والله تعالى يقول (ان الله برىء من المشركين ورسوله) وكتب (وما كان لمؤمن أو مؤمنة) الخ والله تعالى يقول (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) الآية . أما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو ان أحكام الله تعالى إنما تؤخذ عن رسوله ، فكل ما يقضى به الرسول من أمر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح اسناده إليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية إلى اسبابها لان الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شيء من هذا شركاً . وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « ينبغي للانسان أن يستحي من الله ومن الناس » ونحو هذا لانه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد .

فلينظر المسلمون إلى أمانة دعاة النصرانية في النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في العزو إلى السورة وبين ما وقع لنا مع أحد كبار العلماء ، وهو انه نبهنا إلى وجوب التنبيه على غلطة وقعت في المنار نقلا عن الأنجيل وهي « لم تجربوني » وقد حذف نون الوفاية من الفعل بالطبع فطبعتم (تجربوني) . ولينأمل المنصفون في نقلنا عن القوم ونقلهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين ، والتزييل بين المتساهلين والمتعصبين ، والحمد لله رب العالمين .

قال (٤) : « الرابع اتخاذ المسلمين محمداً سيداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بأنهم عبيد لمحمد ، وقال ان هذا هو الشرك الذي عناه . وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا أن يقول أحد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة والسلام بذلك في الكتاب ولا في السنة . وقد

ذهب بعض العلماء إلى أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالشهادتين مكروهة . وقال بعضهم أنها مستحبة لأن هذا اللقب من ألقاب التكريم التي اعتادها الناس مع الكبراء ومع الأقران . وأما استدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستقيم الشرك عنده بآية « إن الله وملائكته يصلون على النبي » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء . فلو كان كل من نطلب له الرحمة إلهاً لنا وكل من نخطبه بلقب السيادة إلهاً لنا لكان لنا ولكاتب آلهة لا تحصى !!! نعم أن المسلمين يعتقدون أن محمداً أفضل الأنبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة، والأنبياء أفضل بني آدم فهو أفضل بني آدم وسيدهم ، ولكنهم ليسوا عبيداً له . أما وجه تفضيله فهو ظاهر بآمره وقد كتبنا فيه وسنكتب أيضاً إن شاء الله . فليتأمل المتأملون في تحمل هؤلاء الدعاء المسيحيين ، واستنباطهم الذي يضحك المحزونين ، والحمد لله رب العالمين .

(٥) قال : « الخامس مغالاة المسلمين في قدمية محمد إلى أن قالوا أنه نور كائن قبل البشر » الخ ، ونقول أن هذه المغالاة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وإنما توجد في كتب القصص والموالد التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم ، على أن العامة الذين يروج عندهم هذا القول لا يختلفون في حدوث نبيهم وغيره من الأنبياء ، فلا يصح أن يسمى القائل بذلك مشركاً بوجه ما ، ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون بطلانها ويدعون أهلها إلى تركها وليدولونا على مسلم يتكلم مثلهم بغير علم ، ويعتدى عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا أننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

(٦) قال « السادس والآخر اتخاذ المسلمين محمداً شافعياً » ثم قال « واتخاذ الخلق شافعياً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا أكثر ولا أقل » ثم ذكر أن اتخاذ الجاهلية شفعاء كثيرين أخف شركاً من حصر المسلمين الشفاعة في

شفيع واحد. على ان المسلمين لم يحصروا. والجواب : ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء .
ولذلك يقولون في الصلاة على الميت « وقد أتيناك راغبين إليك شفعاء له اللهم إن كان
محسناً فزد في إحسانه » الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى
لنفسه ولغيره ، والدعاء للغير يسمى شفاعاً . كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه
يحكم بشرك كل من يذكر ميتاً كوالده أو غيره ويقول : رحمه الله تعالى : فهكذا
يفعل (دين القسائل) يفتات أهله على الخالفين ، وإذا أجابوهم بالحق يدعونهم
متعصبين ، ولكن هذا لا يخرجنا عن تماهل المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .
وإن تعجب فمعجب قول من اتخذوا نبيهم إلهاً : ان الذين يقولون إن نبيهم
عبد الله ولكنه أفضل عباده لأنه نفع خلقه أفضل منفعة وهداهم باذنه أكل
هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى
ويطيعونه فيما يبلغه عن الله تعالى . ١١

قال الكاتب بعد إيراد ما تقدم : « ويرد على ذلك اتخاذنا نحن النصارى
السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ما جاء في الانجيل . فأجيب
إذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوقاً (كذا) واتخذناه شفيعاً وحيداً أومعه غيره نكون
بلا شك مشركين ، ولكن إذا كان المسيح بالحقيقة كلمة الله الأزلى « هو الخالق
وغير المخلوق الذي كان به كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فلسنا مشركين
بل نعبد إلهاً واحداً تبارك اسمه » ١١ !

يعنى ان الشرك هو اعتقاد الناس أن نبيهم عبد الله وان شفاعته دعاء الله ، وأن
التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس أن نبيهم الذى ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم
الأزلى الخالق لكل شيء . مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شفيع بمعنى انه واسطة
بين الناس وبين نفسه ، يصلها وبلغها لانجائهم ١١ بخ منجنا أحسن هذا التوحيد
هذه هي شبهات المسيحيين المصلحين . فله الشكر والمنة ان جعلنا مسلمين .
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ١٥ (ص ٥١٧ م ٥)

المقالة الرابعة عشرة

(في رد مطاعن مجلة الجامعة في الاسلام)

(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ
قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ...)
قد علم قراء المنار أننا لم نفتتح هذا الباب للطمع في دين النصارى أو غيره
ابتداءً، وإنما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما تشكك الجاهل بالاسلام في الدين مطلقاً
فتفسد أخلاقه، ويكون مصيبة على نفسه وعلى الناس. ولا غرض لطمع الطاعنين
بالاسلام إلا هذا التشكيك الذي يحل الرابطة الاسلامية ويضعف المسلمين لأنه
يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفراداً مقطعين، لاجنسية لهم ولا دين، ولو أنهم
كانوا يطمعون في تنصيرهم لكان لهم عندنا بعض العذر. ولكن التجربة أفادت
التاريخ ان الملايين من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من
هؤلاء واحد من المسلمين تنصر إلا ما كان من أفراد ليس لهم من الاسلام إلا وراثة
الاسم عن آباؤهم الأولين

قيل للسيد جمال الدين الأفغانى الحكيم الشهير (رحمه الله تعالى) ما سبب
الدعوة إلى مذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة إلى النصرانية؟
فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة، فهو يأمر
بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادت بها الجمعيات
النصرانية في دينه. فلما جرب الذين يبتغون حل الرابطة الاسلاميه الدعوة إلى
النصرانية فلم تنجح عمدوا إلى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة إلى الدهرية

وكذلك لما رأى مثل صاحب الجامعة أن تشكيك المبشرين بالنصرانية لم ينجح في المسلمين من الطريق الديني انبرى لتشكيكهم من الطريق العلمى وبذل جهده لاقتناعهم (١) بأن دينهم كغيره عدو للعقل وللعلم و (٢) أن أئمتهم في العقائد (المتكلمين) ينكرون الأسباب ؛ و (٣) أن جمع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام ضار بالمسلمين وموجب لتأخرهم. ومن رأى صاحب الجامعة أن المسلمين إذا أرادوا الترقى والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهى (١) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لأنهما قاضيان يهدمه كقضائهما يهدم النصرانية فإذا حاولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في النار وغيره فأنما يحاولون محالاً بل إنما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين ، و (٢) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات مطردة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام ، فإذا صدقوا الواقع فعليهم أن يكذبوا أئمتهم والعكس بالعكس . (٣) أن يجعلوا خليفتهم حاكماً مدنياً يخترع الشرائع والأحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه السلطان ، ويجعلوا الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أى أنه يجب على المسلمين في رأى صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويجعلوا النصف الثانى لمن أراد أن يترك العقل والعلم والأسباب لأجل العبادة هذا ملخص نصيح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولأجل أن يجعله مقبولا أورد

لهم كلمات عن بعض أئمتهم حرقها عن معناها ليخضع البسطاء بها

وإننا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المعتدين الذين يريدون ليطلقوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق

(وإثبات الإمام الغزالي لها)

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لفقہ أننا أوردنا قوله تعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تتبدل ثم قال « مع أنه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالي من قبله وسمع هذا القول لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم اطلاعه على الشعوب التي يبحث فيها لأنه استشهد بذلك الآية للغرض الذي ذكره مع أنها لم ترد في القرآن لهذا الامر بوجه الاطلاق » .

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيداً لخلابة المسلمين بأن ما يتحكم هو فيه من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الآفين مقتبس من الإمام الغزالي الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

إذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه في الدين من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملاً ودرسه من أول نشأته المرة بعد المرة كما درس كل ما طالع عليه من كتبه بامعان وإخلاص — فهل يضحك أو يبكي من (تركيب) جاحد معاند يلتمس من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها ليفسح المسلمين بشيء يخالف دينهم، محتجاً بكلام إمام من أئمتهم ولا موضع للاحتجاج ؟ نترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الأسباب وسنن الله تعالى ونبين الحق في المسألة التي اشتبه فهمها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسراً لمثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهاباً مع سباحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل ما نصه . « الأسباب التي يجلب بها المنافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون فلنا يوثق به وموهم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه . (الدرجة

(الأولى) المقطوع به وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف ، كما أن الطعام إذا كان موضوعاً بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد إليه وتقول : أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد إليه سعي وحركة ، وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بالهبات . أظن الخنك على أسنانه : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فإنك إذا انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبحاً دون الخيزر أو يخلق في الخيزر حركة إليك أو يسخر ملكاً ليضمه لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت في أن يخلق الله نباتاً من غير بزر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه ، اهـ بحروفه .

وبعد أن قرر أن هذه الدرجة لا يأتى فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظنوناً وبين أن التوكل لا يأتى فيها أيضاً قال مانصه : « فإذا التباعد عن الأسباب كلها مراعاة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى ، والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الانكسار على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل .

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين أن التوكل إنما يكون في ترك الأشياء الوهمية كالرقية والطيرة والكي التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الإلهية هنا قوله « وكذلك في الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقض التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى ، إما قطعاً وإما ظناً ، ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوى وهو من منفع المضار هذه الحكمة الجليلة « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » وقال أيضاً في تداوى النبي ﷺ « وإما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس إليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للأسباب « فهذا تبين أن مسبب
الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهاراً للحكمة والادوية أسباب
مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب . فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء
العطش فالسكنجيين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه إلا في أحد أمرين
أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة
الصفراء بالسكنجيين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بعد التجربة التحق
في حقه بالأول . والثاني أن الدواء يسهل . والسكنجيين يسكن الصفراء بشروط
أخرى الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما
يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعي
سوى الماء شروطاً كثيرة ، وقد يتفق في العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة
شرب الماء ولكنه قادر . واختلال الاسباب أبداً ينحصر في هذين الشئتين
وإلا فالمسبب يتلو السبب لا محالة ، مهما تمت شروط السبب اه بحروفه .

فأى نص في التلازم بين الاسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة الاخيرة؟
فهذا هو الامام الغزالي الذي يوم المسلمين صاحب الجامعة بأنه ينكر الاسباب
وينكر أن معنى سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول الاسباب وارتباطها بالمسببات.
فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة أو يحسن قصده؟ وهل يجوز تغير العالم
الراسخ أن ينظر في قول هذا المشكك الذي يريد أن يفسد على عوام المسلمين عقائدهم؟

﴿ التوفيق بين هذا وبين مقاله في تهافت الفلاسفة ﴾

مسألة الاسباب التي شرحها الإمام الغزالي في كتاب التوحيد والتوكل هي
ما يعتقد المسلمون ، وإنما كتبها للمسلمين لأنه يبين في هذا الكتاب مقام التوكل
الذي هو أعلى مقامات الايمان ، وله كلام آخر في هذه المسألة مع الفلاسفة لا مع
المسلمين ، وكلامه هناك يجب أن يكون بلسان يخالف هذا اللسان ، ولكن لا يناقضه
ذلك أنه هنا يشرح الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقة الشرع وهناك

يتكلم على الجلال والتأثيرات الحقيقية في الابداع والاعدام ، وما قاله في الموضوعين هو الحق الذي لا يحيد عنه كما نبينه .

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع ، وهي أن المفكرين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الأسباب العادية الظاهرة منزلة العلل العقلية القاطعة ، وينسبون إليها التأثير ، ويزعمون أنها مطردة اهتزازاً ضرورياً يستحيل انفكاكه ، ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون ، لأن القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي أن قدرة الله تعالى وإرادته لا تتعلقان بالمستحيل ، وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لاحجة لهم على ذلك وإنما هي شبهات كشف الحجاب عنها الغزالي وغيره . وتلك الأسباب التي مر القول في أطرافها ممكنة ، فهي مطردة بفعل الله تعالى .

ولو سلم الناس بقول أولئك الفلاسفة لوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها بحالاً عقلياً ، وإنما المحال العقلي شيء واحد ، وهو اجتماع التقيضين ، أو الضدين المساويين للتقيضين أو ارتفاعهما . ولو أن هذه القرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لأولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها وأوردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما أوردوه على القول ببعث الاجساد ، وأمثلة ببعث الاجساد ظاهرة اليوم للماء السحيماء ظهوراً تاماً .

قال الامام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة مانعه « هذا ما أردنا أن نذكره في العلم الملقب عندهم بالالهي . أما الملقب بالطبيعات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف أن الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا إنكارها إلا في مواضع » وأنبه القارئ إلى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرها ، فالانكار هو القول ببطلان الشيء . هـ . واحدة ، والمنازعة هي المباحثة في دليله ليظهر الصواب ، مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين . ثم قال الامام بعد سرد أنواع العلوم الطبيعية المعروفة إلى ذلك العهد « وإنما تخالفهم من جملة هذه العلوم في أربع مسائل (الأولى) حكمهم بأن

هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة . فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون السبب ، وأن هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات ، إلى أن قال مانصه : « وإنما يلزم النزاع في الأولى من حيث إنه ينتفى عليها إثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعبانا وحياء الموتى وشق القمر ، ومن جعل مجارى العادات لازمة لزوما ضرورياً أحال جميع ذلك ، وأولوا ما في القرآن من احياء الموتى وقالوا أراد به ازالة موت الجبل بحياة العلم ، وأولوا تلفف العصا لحر السحرة بإبطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين . وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده ، وزعموا أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة إلى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول الامام كيف كان . الامام قال : « وإنما يلزم النزاع في الأولى من حيث إنه ينتفى عليها إثبات المعجزات ، ومعناه أن محل النزاع في المسئلة الأولى هو انتفاء إثبات المعجزات بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها . وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام مانصه : « ثم قال وإنما يجب علينا إنكار هذا القول لأنه ينتفى به إثبات المعجزات » : فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين الانكار والنزاع آنفا . فإذا كان نقل صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من الفهم والامانة فأننا نحىء من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة .

ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد لما يعتقد المسلمون مانصه : « الاقتران بين ما يعتقد في المادة سببا وما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا ، بل كل شيتين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا اثبات أحدهما متضمن لإثبات الآخر ، ولا نفيه متضمن لنفي الآخر ، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ، مثل الرى والشرب

والشبع والآكل . والاحترق ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت . وجز الرقة . والشفاء وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمّ جراً إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساوى لا لكونه ضروريا في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشيع دون الآكل وخلق الموت دون جز الرقة وادامة حياة مع جز الرقة وهلمّ جراً إلى جميع المقترنات وأنكر الفلاسفة امكانه وادعوا استحالة ، ثم ضرب لذلك مثالا واضحاً لا حاجة لذكره

وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر ، فانهم لا يقولون بأن شيئا من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالأسباب والمسببات هو ضرورى واجب عقلا وانفكاكه محال لا يتصوره العقل ، بل كل هذه الأشياء عندم ممكنة وانفكاك التلازم وقع كثيرا ويسمون ما لا يعرفون له منه « فلتات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما اكتشفه العلم من أسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات ما لم يقع كاحياء الموتى ، ولو كان في نظرم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الجامعة لا يميز بين الضرورى والممكن ، فيخطئ المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالي بما تقدم آنفا بأن المتلازمين في العقل تلازماً يثبت به أحدهما بثبوت الآخر وينتفى بانتفائه هما الاذان يستحيل انفكاك تلازمهما لأن قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

الوفاق بين قولى الغزالي ومذهب باكون

تقدم أن الغزالي قال في كتاب التوكل : إن سنة الله في نظام الكون هي أن الأسباب مرتبطة فيه بالمسببات ارتباطاً كلياً لا يختل إلا إذا لم تستوف الشروط التى يتحقق بها السبب حتى قال إن السبب يتلو المسبب عند عدم المانع « لا محالة » وفسر مثل قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) بهذا النظام في الارتباط بين الأسباب والمسببات وهو التفسير المتعين . وقال في

كتاب تهافت الفلاسفة : ان هذا الارتباط بين الأسباب والمسببات العادية على
أطرافه ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس محالاً وانما هو ثابت في الواقع ونفس
الأمور بحكمة خالق الكون ومدبره. واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون
فينبغي للناس أن يبحثوا عنها ويبتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء
على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء أن يكون انفكاكه عنه محالاً عقلياً

ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الأدلة النظرية في الحكم
باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوده عقلاً، فالغزالي وغيره من أئمة علم الكلام بينوا
أن المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتقاءهما أو اجتماع الضدين
بمعنى النقيضين. وقالوا : إن المستحيل والواجب الضروري في نظر العقل لا تتعلق بهما
قدرة الله تعالى وإنما تتعلق قدرة الله تعالى بالممكن فقط فكانت فائدة قول المتكلمين
في أمرين عظيمين هما أساس لتتقى البشر (أحدهما) أن ما ثبت أنه ضروري (واجب)
أو مستحيل لا يطمع فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء إلى الله تعالى
لأنه لا يتغير. (ثانيهما) أن للممكنات من منافع منتظمة ينبغي للإنسان أن يعرفها وينتفع
بها، ولكن لا ينبغي أن يوقف حركة استعداده عند ما يظهر له بآدي الرأي أنه لا يتغير
بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له أطرافها
مشروطة بها فيجتمع بين الانتفاع بالسنتين معاً. مثال ذلك أن السنة الانتهية الظاهرة
في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق فلا ينبغي للإنسان أن يحزم بأنه لا يمكن أن ينتفي
هذا الاحتراق لأنه ضروري، بل عليه أن يبحث لأن الاحتراق ممكن وربما يكون
حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت يمتنع الاحتراق بها. وقد
اكتشف الآن ما يمتنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية
فهذا التقرير أنى حجة الإسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وان
أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكأبره في بعضه) وأظهر حكم الدين الإسلامي في
الخلق العقل الانشائي من تلك القبيد النظرية ليسبح في ملك الله مهتدياً بدين الله

فيه . وقد جرى (باكون) على هذا الأثر فقرر أن الأدلة النظرية لا يعتمد عليها في اثبات المسائل العلمية ما لم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الحكمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوربا وقد كانت معروفة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء ووضوحا لأنه كان يعتقد بخلافها كالتمجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة ، وهي أمور وهمية لا ترتقى إلى أن تكون نظرية مظلونة . ولسكن أوربا كانت مستعمدة بارتقاء العلم فيها إلى الأخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به ، وعد باكون امام هذه الطريقة التي قررها المسلمون وعملوا بها من قبله .

والنتيجة أن صاحب الجامعة أخطأ في زعمه ان الامام الغزالي أنكر الاسباب ، وفي زعمه أن مذهبه في السنن الالهية غير ما قلناه في « المنار » وتدعو اليه دائما ، وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة باكون سورا عاليا ، وفي زعمه أيضا أن التلازم بين الاسباب والمسببات أو النواميس إذا لم يكن ضروريا (أي واجبا عقليا يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى ، فإن خالق الكون وواضع نواميسه إذا كان حكيما لا يفعل شيئا إلا بنظام ، كما دل على ذلك كتابه العزيز ، ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى ؟ ومن قال ان النظام في الكون مشروط بكون الله تعالى غير قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا إلا صاحب الجامعة النصرانية ليثبت أن مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤد إلى إنكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الدين أشد تهافتا في طعنه بالاسلام وأثمنه الاعلام مثل هذا الكاتب الجليل الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المنعوه الذي تخلى في مذهب تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبئست الشهرة بمكايمة الحق وتحويل كلام الأئمة لأجل دربهات تجبى من عبو للاسلام ، يجب ان ألق يتشفى من أهله ، ولو زور الكلام ، وهو أعلى من أن تعرج اليه بالأوهام .

المقالة الخامسة عشر

رد على إنكار الجامعة ككون الاسلام دين العقل

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل ، وحجتنا الكتاب والسنة وكلام الأئمة ، ولكننا بتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الهداية اليه بايهاهم أن ما نقول ليس من الدين وأنه ضاربه لأن الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدوا للعقل ، وان بناء على العقل مؤذن بهدمه كغيره ، وانه لو كان معقولا لكان علما ولم يكن ديناً - إلى غير ذلك من التشكيك ، وإنما نأخذ ديننا عن الأدلة العقلية والنقلية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين .

(بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . إن في السموات والأرض لايات للموقنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . ويل لكل أظالم . يسمع آيات تتلى عليه ، ثم يصر مستكبراً ، كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم . هذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين مطالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ، واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرفة الشيء ببرهانه هو أعلى العلم وأقواء . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) . وقال بعد آية (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً (وقالوا اما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم به بذلك من علم إن هم إلا يظنون) فنفي عنهم العلم ، وبين ان الظن لا ينفع في الدين ، لان المطلوب فيه علم اليقين . كما قال

« في سورة النجم (وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى عن الحق شيئا » .

تلك آيات قصيرة تدل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم وأنه يطلب فيه اليقين ولا يكتفى بالظن في الإيمان بأصوله ، كوحداية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثة الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد جاء في القرآن كلمة « يقولون » بالياء والتاء نحو خمسين مرة ، وفيه ذكر العقل والعقلاء في الخطاب وإقامة الآيات على الإيمان بغير هذا الحرف كالنهي واللب فلفظ الأبواب جاء في بضعة عشرة آية . لهذا كان العلم بالسكون طريق الإيمان والإسلام . قال عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرايب سود . ومن الناس والبهائم والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) فديننا والله الحمد علم وكل علمنا دين ، لأنه يزيدنا إيمانا ومعرفة بالله سبحانه ، وقد ورد في الحديث « أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وأما قول المشككين أن العلم محصور في المحسوسات ، فكل ما لا نحس به فلا يقال في عرف الفلاسفة أنك عالم به ، فهو من المغالطة أو الجهل ، فانه لا علم بمنصم باليقين كعلم الرياضات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(تعارض الدليل العقلي مع الدليل السمعي)

ذكرنا في المنار غير مرة أن الذي عليه المسلمون من أهل السنة وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها أن الدليل العقلي القطعي إذا جاء في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين ، ولنا في النقل التأويل أو التفويض وهذه المسألة المذكورة في كتب المفائيد التي تدرس في الأزهر وغيره من المدارس الإسلامية في كل الاقطار ، كقول الجوهرة :

وكل نحن أودم التشبيهاً / أوله أو قوض كوزم تزييه
قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وظيفها)
عند ذكر التأويل : « انه قد ثبت أنه متى وقع التعارض من الفاعل العقلي والظاهر
السمعي فاما ان يصدقهما ، وهو محال ، لأنه جمع بين النقيضين ، وإما أن يكذب
القاطع العقلي ويرجح الظاهر السمعي ، وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل
العقلية ، ومتى كان كذلك بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي
يوجب القدح في الدليل العقلي والدليل السمعي معاً ، فلم يبق إلا أن يقطع بصحة
الدلائل العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل » اهـ ثم إنه أقام الدليل بهذا
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لأنهم يتفقون مع أهل السنة فيه .
هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لاحتياج إلى تأييدها بنقول ولكن
قُست بيننا في هذا العصر مطبوعات المشككين في الدين ، فإذا قل المسلم عبارة
من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من
يفتر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الإسلام والنصرانية » أن الأضل الثاني
للإسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض ، وهذا دليله من القرآن ومن كلام
بعض الأئمة ، ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام
والتفسير ومن كتب المتأخرين كمحاشي الباجوري والرسالة الحميدية لأظننا
الكلام في معنى واحد .

الشكوك في المسألة

فإن قيل : إن الإمام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية
في علم الله تعالى قال « فإذن ليس ينفع فريق منهم عن خزي في مذهبه ، وهكذا
يفعل الله بمن ضل عن سبيله ، وظن أن الأمور الإلهية يستولى على كتبها بنظرة
وتخيل » فهل يدل هذا القول على أن الدين غير معقول أم لا ؟

الجواب : أنه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنهه الخالق وحقيقته ، وكنهه صفات الباري وحقيقتها . وإذا هجر الحكماء والعلماء عن معرفة كنهه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنهه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكلفنا به الدين فيكون قول الغزالي بإنكاره على الفلاسفة دليل على أن الاسلام لا يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك .

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الإلهي) مخاطباً للفلاسفة بعد اظهار عجزهم ونهاقتهم . «المقصود تعجيزكم عن دعواكم معرفة حقائق الأمور بالبراهين القطعية وتشكيكم في دعاويكم ، وإذا ظهر عجزكم في الناس من يذهب إلى أن حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل ، بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ، ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملة السابقة خاصة ببيان عجز البشر عن حقيقة الباري وحقائق صفاته ، وقد مرت القرون والايال وستمر قرون وأجيال أخرى إلى أن ينقضي عمر البشر ، ولا يصلون إلى معرفة حقيقة الله . وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب (مقالات الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص ٤٤ من المنار) : « لا بد أن ينتهي أمر العالم إلى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ، يأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه ، « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره الكافرون وتبعهم الجاهلون القانطون » فكلام الامام الغزالي ، وكلام هذا الإمام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كلفنا بأن نعرف كنه ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكلفاً لنا بما لا يعقل ولا يستطاع . ولكن الله يقول (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

هذا وإن الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا منه تينك الجملتين بيان القواعد الاسلامية، وإنما قصد بيان فساد نظريات الفلاسفة في الأمور الإلهية، وقد يدفع الفاسد بالفاسد، ولذلك قال قيل الجملة الثانية بأسطر (٤٥) ونحن لم نخض في هذا الكتاب خوض الممهدين، بل خوض الهادمين المعترضين. ولذلك سمينا الكتاب (تهافت الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) « اه فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب مذهبه في العقائد ولا في غيرها كما نبهنا على ذلك في مقالة الأسباب والمسببات (المقالة الرابعة عشرة) . وإنما يؤخذ مذهبه من كتبه في العقائد والأصول، وهو فيها موافق لاسائر أئمة السنة في أن العقل أصل الاسلام، وأن براهينه القطعية لاترد. فإن جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ماتقدم.

فإن قيل: قد علمنا أن أئمة المسلمين في العقائد والأصول لم يختلفوا في أن دين الاسلام هو دين العقل، فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الأصل وفصلوا بين العقل والدين؟

فالجواب: كلا إن الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم. وقد ألف فيلسوف الاسلام في الغرب أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كتاباً في هذه المسألة أثبت فيها ما أثبتته أهل السنة من قبله ذلك الكتاب هو (فصل المقال) فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ففي هذا الكتاب أثبت أن الشرع الاسلامي أوجب النظر بالعقل وجعله أساساً للعقائد. ثم قال (في ص ٨) مانصه: وإذا كانت هذه الشرائع حقاً وداعية إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق، فإننا نعتبر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له. وإذا كان هذا هكذا فإن أدنى النظر البرهاني إلى نحو ما من المعرفة بوجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكنت عنه في الشرع أو عرف به. فإن كان مما سكنت عنه فلا تعارض هناك وهو بمنزلة

ماسكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي. وإن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقاً لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفاً فإن كان موافقاً فلا قول هناك. وإن كان مخالفاً طلب هناك تأويله، ومعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشيئه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عهت في تعريف أصناف الكلام المجازي. وإذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الأحكام الشرعية فكم بالخرى أن يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان، فإن الفقيه إنما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني.

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي. وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن. وما أعظم ازدياد اليقين بهنا عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بأن يقول: إنه ما من منطوق به في الشرع مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان إلا إذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد في ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لتلك التأويل أو يقارب أن يشهد. ولهذا المعنى أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل » اه المراد منه بعبارة تقول: الله أكبر، لمع الحق وبهر، وظهر أن علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في أن الإسلام دين العقل، على العقل بنى شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر أن مقاله الأستاذ الإمام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة) في تعارض الأدلة العقلية والنقلية. هو المجمع عليه في الملة الحنيفية، وهذا ما يدعو إليه المنار جهاراً، وكبر على أعداء الاسلام فذكروا مكرراً كباراً، ولبن يجدوا لهم من حون الله أنصاراً...

فإن قيل : إن لابن رشد كلاما آخر في « تهافت التهافت » يشبه أن يكون مخالفا لقوله هنا كقوله « الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فإن أدركته استوى الإدراك وكان ذلك أتم في المعرفة ، وإن لم تدركه أعلنت بقصور العقل الإنساني وأن يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الأشياء التي لا يجب أن يتعرض للفحص عنها ، وبجمل مسائل ، فانها مبادئ الشرائع والفاحص عنها أو المشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادئ الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السمادة موجودة وهل الفضائل موجودة وأنه لا يشك في وجودها ؟ وأن كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الإنسانية ؟ والعلة في ذلك أن هذه هي مبادئ الأعمال التي يكون بها الإنسان قاضيا ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول الفضيلة ، فوجب أن لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة ، وإذا كانت الصنائع العملية لا تتم إلا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولا فأحرى أن يكون ذلك في الأمور العلمية » اهـ بحجوه .

فالجواب : أن هذا الكلام لا ينافي ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ونقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به إلى صاحب « مقالات الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدينة » ولو فرضنا أن بين القولين مخالفة لكان الواجب اعتبار الأول لأنه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية عن الفلاسفة الأولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادامنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على أن ابن رشد يقول هنا إن الفلاسفة الأولين لا يمارضوننا في هذه المسائل أي أن مقتضى مذهبهم ذلك وإلا فقد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها ، فالتحلاف بينه وبين الغزالي في هنا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على الملمين مسألة المعجزات

ومبادئ الفضائل فالغزالي يستند إليهم على الإطلاق وابن رشد يقول : انه لم يبحث في ذلك إلا ابن سينا ، والمخطب سهل .

أما في الواقع فأنك تراه بدأ يشكلم عن رأى الفلاسفة في الأديان ومبادئها لاني الاسلام الذى هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأمر لا يجمل الدين (المطلق) فوق العقل ، بمعنى أن فيه ما يحيله العقل ويقطع بعدم صحته (متنا) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظر ياتها فهو دليل على أن العقل الانسانى قاصر على الوصول إليه بنفسه فهو محتاج فيه إلى إرشاد الشرع . ولا شك أن العقل الانسانى قاصر حتى اليوم عن ادراك كل ما بين يديه ، فهو يستخدم الكهرباء وينتفع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا : ان دين الاسلام معقول أن كل مسأله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالاً ، بل معناه أنه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ، ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا ، وكون الإله يتحد بالبشر ولولا أن هذا هو المراد لسكان العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه إلى الوحي (منها) قوله إن مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك في وجودها والموجود لا يكون محالاً لأن المحال لا يقبل الوجود ، وقوله عنهم : إن كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه المعقول الإنسانية : لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل ، لأن هذه الموجودات التى نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة كيفية إيجادها فمعجزها عن معرفة كيفية وجود المعجزات أولى . ويسهل على كل عاقل أن يميز بين ما هو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين ما لا يشك في وجوده ، لكنه لم يصل إلى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود .

(ومنها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ بالتسليم والتقليد للشرع (لا لأراء الناس) من غير أن نسلط النظريات الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفيه وضار ، وأى منه

وضرراً كبيراً من التشكيك في شيء موجود نافع للناس لصدوم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها ؟ أى سفة أكبر من سفة من كان يمارى بالموجود الثابت بالملاحظة أو التواتر (كالمعجزات) أو يلزم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها ، وهو يرى ويشاهد أنها تحصل بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟ وما أحسن ما أورده الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« وأما مانسبة (أى مانسبه الغزالي إلى الفلاسفة) من الاعتراض على معجزة ابراهيم عليه السلام ، فتشئ لم يقله إلا الزنادقة من أهل الاسلام ، فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد ، وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا بإبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي أخرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضرورى عندهم ، ليس في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم . ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ الشريعة وان يقلد فيها ولا بد من هذا الوضع لها ، فان جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ، ولذلك وجب قتل الزنادقة . فالذى يجب أن يقال فيها : إن مبادئها هي أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية ، فلا بد أن يعترف بها مع جهل أسبابها ولذلك لا تمجد أحدا من القدماء تكلم في المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم ، لأنها مبادئ تثبتت الشرائع والشرائع مبادئ الفضائل ، ولا فيما يقال فيها بعد الموت . فاذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلاً باطلاقاً ، فان تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم فعرض له تأويل في مبدأ من المبادئ فيجب عليه أن لا يصرح بذلك التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى (والراستخون في العلم يقولون آمنا به) ههنا محدود الشرائع ولحدود العلماء اه بحروفه من (ص ١٢٩)

حقاً أقول : إن هذا ما يصح أن يسند إلى الحكماء العقلاء واننا نوضحه بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان ، وهو أن الطب علم قد ثبتت فائدته للناس بالتجربة والملاحظة ، فمن الحاقة وسفاهة الرأي أن يقال للمريض ، عليك أن لا تقبل من الطبيب علاجاً حتى تبحث أولاً عن مبادئ الطب وتثبت بالأدلة النظرية أنه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه لك الطبيب ماهو ؟ وما نسبة بعض أجزائه إلى بعض ؟ وكيف يؤثر في مقاومة المرض ؟ وما الدليل العقلي على تأثيره ؟ وما أشبه ذلك .

كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم أن تبحثوا قبل الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأيتوها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى كأنكم كنتم حاضريها ، كيف أوجدها الله تعالى ، ثم تبحثوا أيضاً عن كل ما جاء في الشرع لتعلموا بالدليل النظري لم كان كذلك ؟ وكيف كان ؟ وبعد ذلك كله آمنوا إذا عرقتكم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا إذا لم تعرفوها

يفتك المرض بمرضى الجسد حتى يكون حرصاً أو يكون من الهالكين ولا يقدر أن يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال ، وهو كسبي كله وضعه أمثاله من الناس بالنظر والتجربة ، وكذلك تفتك الرذائل والعقائد الباطلة بمرضى النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر إلى هذه الكيفيات ، فبقى ان الصواب ما قرره الإسلام ، وهو أن النظر واجب في الاصول التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ، ومتى اعتقدنا بقدره الله وإرادته وعلمه وكونه أوحى إلى بعض عباده وألهمهم إرشاد الناس إلى ما يسعدهم في حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسلم بكل ما يقول الموحى اليهم (الأنبياء عليهم السلام) تسليماً . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي القطعي نرده اليه بالتأويل أو نفوض الأمر فيه إلى الله مع الأخذ بالدليل العقلي : هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في

كون الإسلام دين العقل ، لأن المسلم لا يترك الدليل العقلي القاطع بحال من الأحوال .
وقد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تنشر التأويلات التي تظهر للأشخاص في العلم ، بل تبقى خاصة بأهلها لئلا تكون سببا لفتح باب الجدل على العامة فيما لا تنصل إليه أفهامهم من حقائق العلوم والجدل مدعاة الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والإعراض عن المجادلين .

﴿ ارتقاء الأديان ، وختمها بالإسلام ﴾

﴿ جاء في « رسالة التوحيد » للأستاذ الامام مانصه ﴾

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناس . الحديث العهد بالوجود ، لا يألف منه إلا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه أن يضع الميزان بين يومه وأمه ، وإن يتناول من المعاني مالا يقرب من لمسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يليق اليه فيما يصله بغيره ، اللهم إلا إذا تصل إلى فمه بطعام ، أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان ، أن تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ، أو يرقى عليه . بسم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سداحة السن ، لا يأتيه إلا من قبل ما يحسه بسمعه أو يبصره . فلأخذتهم بالأوامر الصادقة . والزواجر الرادعة ، وطالبينهم بالطاعة ، وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلي الغاية وإن لم يفهموا معناه ، ثم تصل مداركهم إلى مرماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ، وتنقل

به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه ^(١) .
 ثم مضت على ذلك . أزمان علت فيها الأقسام وسقطت ، وارتفعت وانحطت ،
 وجربت وكسبت ، وتخالفت واتفقت ، وذاقت من الأيام آلاما ، وتقلبت في
 السعادة والشقاء أياما وأياما ، ووجدت الأنس بنفث الحوادث ، ولقن البكواث ،
 شعورا أدق من الحس وأدخل في الوجدان ، لا يرتفع في الجملة عما تشعر به قلوب
 النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان ، فجاء دين يخاطب العواطف ، ويناجي المراحم ،
 ويستعطف الأهواء ، ويحدث خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة
 ما يصرفهم عن الدنيا بجمليتها ويوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضى من
 صاحب الحق ، أن لا يطالب به ولو بحق ، ويفلق أبواب السماء في وجوه الأغنياء ،
 وما ينحو نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سننا في عبادة الله تنفق مع ما كانوا
 عليه ، ومادعاهم اليه ، فلاقي من تعلق الناس بدعوته ما أصلح من فاسدها ،
 وداوى من أمراضها

ثم لم يمض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت العزائم البشرية عن احتمالها ،
 وضاعت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ بأقواله ، ووقر في الظنون أن
 اتباع وصاياه ضرب من المحال ، فهب القائلون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك في السلطان
 ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور الأعظم منهم عن جدته
 بالتأويل . وأضافوا إليه ماشاء الهوى من الأباطيل ، هذا كان شأنهم في السجيا -
 نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ، أما في العقائد فنفروا شيئا ، وأحدثوا بدعا ، ولم

(١) المنار . المعروف إلى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ
 كتبه المقدسة التي يسمون بمجوعها (التوراة) ينجلي له انطباق الوصف عليهم
 فيها أن الرب كان يلقب شعب اسرائيل بالشعب « الغايظ الرقية » أي المريض
 القفا ، والمراد بالهيد الجافي ، وكان يريه الآيات والحواف فيخضع ثم يعود إلى تمردة
 وكان يعزل له الأحكام بالقوانين الخاصة كالنجاة من المصريين . وكان يعاقبهم على
 ترك أي حكم بأشد العقوبة . ومنها أن من يعمل يوم السبت عملا يقتل قتلا

يتمسكوا من أصوله إلا بما ظنوه من أشد أركانها . وتوهموه من أقوى دعائهما ، وهو حرمان العقول من النظر فيه وفي غيره من دقائق الأكوان ، والحظر على الأفكار أن تنفذ إلى شيء من سرائر الخلق ، فصرحوا بأن لا وفاق بين الدين والعقل ، وإن الدين من أشد أعداء العلم ، ولم يكف القضاة إلى ذلك أن يأخذ به نفسه ، بل جسد في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوه ، وأفضى الفلوف في ذلك بالأنفس إلى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الانساني ، وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للالزام ببعض قضايا الدين . فتقوض الأصل ، وتخرمت الملائق بين الأهل ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محل السلام ، وكان الناس على ذلك إلى أن جاء دين الإسلام^(١)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالإنسان أشده ، وأعدته الحوادث الماضية إلى رشه ، فجاء الإسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللب ، ويشركه مع العواطف والاحساس ، في إرشاد الإنسان إلى سعاداته الدنيوية والآخروية . وبين للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه ما اختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيتته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، انما هو لتجديد الذكرى في الأرواح ، وأن الله لا ينظر إلى الصور ولكن ينظر إلى القلوب ، وطالب المكلف برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، وفرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعد كلا الأمرين طهراً مطلوباً ، وجعل زرع العبادة الإخلاص ، وأن

(١) المنار : يرى الناظر أن الأستاذ الامام يلصق جميع ما ابتدع في النصرانية - وكان شؤماً على الانسانية ، بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح - ويدعون انهم قوابه - الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم . فلا يتوهم أحد أن مسلماناً يعتقد أن في دين المسيح نفسه شيئاً كان ضاراً بذاته بمن خطبوا به

ما فرض من الأعمال إنما هو لما أوجب من التطيع بطاهر الملوكات : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (ان الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين) ورفع الغنى الشاكر إلى مرتبة الفقير الصابر ، بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادى للرجل الرشيد ، فدعاه إلى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة . وصرح بما لا يقبل التأويل أن فى ذلك رضا الله وشكر نعمته وان الدنيا مزرعة الآخرة ولا وصول إلى خير العقبى ، إلا بالسعى فى إصلاح الدنيا .

(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل غمة من الوم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرر أن آيات الله الكبرى فى صنع العالم إنما يجرى أمرها على السنن الالهية التى قدرها الله فى هله الأزلى لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يغفل شأن الله فيها ، بل ينبغى أن يحيا ذكره عند رؤيتها . فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » ^(١) وفيه التصريح بأن جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضى فيه إلا العناية الأزلية على السنن التى أقامته عليها ثم أضاف اللثام عن حال الانسان فى النعم التى يتمتع بها الأشخاص أو الأمم والمصائب التى يرزون بها ففصل بين الأمرين فصلا لا مجال معه للخلاط بينهما »

ثم بعد أن ذكر الاستاذ حال الأفراد وان ما يصيبهم قد يكون بكسبهم وقد يكون بغير ذلك قال :

« أما شأن الأمم فليس على ذلك ، فان الروح الذى أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر ، وتسديد النظر وتأديب الأهواء ، وتحديد مظاهر

(١) كسفت الشمس يوم مات ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ، فظن بعض الناس أنها كسفت لموته . فقله . رواء البخارى وغيره

الشهوات ، والدخول في كل أمر من بابه ، وطلب كل رغبة من أسبابها ، وحفظ الأمانة ، واستشعار الاخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح في الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل - ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة (ومن يرد ثواب الدنيا بقرته منها) ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقرته وينقصها بضعفه ، حتى إذا فارقتها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعثها الراحة إلى مقره ، واستبدل الله عزة القوم بالذل ، وكنهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء وسلط الله عليهم الظلمين أو العادلين . فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليه القول فدمرناها تدميرا) أمرناهم بالحق ففسقوا عنه إلى الباطل ، ثم لا ينفعهم الأئین ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما بقى من صور الأعمال ، ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا كاشف لما نزل بهم إلا أن يلجؤا إلى ذلك الروح الأكرم فيستنزلوه من سماء الرحمة برسل الفكر والذكر والصبر والشكر (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا) وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقائه « اللهم انه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يرفع إلا بتوبة » على هذا السنين جرى سلف الأمة ، فبينما كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد السامية ، ويأخذ نفسه بما يتبعها من الأعمال الجليلة ، كان غيره يظن انه يزلزل الأرض بدعائه ، ويشق الفلك ببيكائه ، وهو ولع بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما كان يفني عنه ظنه من الحق شيئا » اه المراد هنا من رسالة التوحيد

(تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس)

هذا مقاله الأستاذ الإمام في رسالة التوحيد التي طبعت لأول مرة سنة ١٣١٥ هجرية وقرر مجلس إدارة الأزهر تدريسها رسميا في الجامع الأزهر ، ومعلوم أن رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع ، فهو من سائر العلماء أعضاء المجلس ، بل وسائر علماء

الأزهر متفقون على مافي هذه الرسالة . ومما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الإسلام هو دين العقل . والقرآن يشهد بهذا في عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضاً أن المسلمين يعتقدون بحقيقة الديانة المسيحية وكونها جاءت إصلاحاً للناس ولكن إلى أجل محدود قد انتهى واستغنى عنها بالدين الأخير

تقدم أن دين الله واحد (لا تفرق بين أحد من رسله) وأن خطاب الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعة الموسوية وما شاكلها مما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية . والديانة الإسلامية كالمدرسة العليا التي هي التعليم الأخير . وهذا لا يتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية ، كما أن وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لابد منه ، والفرض من الجميع واحد . ولا تنس أن التشبيه بالنسبة إلى مجموع البشر في الجملة ، فلا يقال ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهودياً ثم نصرانياً ثم مسلماً . وهذا الذي قلناه مؤيد بما أرشد إليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري ، وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى في الإسلام أفواجا ، وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة إلى مدرسة أعلى منها ، ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليداً وجعلوا عليه سياجاً من القوة الحسية والوهمية ، ولولا الظوايرى التى طرأت على سير الإسلام بواسطة الرؤساء من الملوك والأمراء ، وفننتهم للعلماء والفقهاء ، لما بقى للأديان الأولى من الإتياع ما يكونون به أمماً كبيرة (ص ٨٠٧ الح ٥)

المقالة السادسة عشرة

﴿ السلطان الدينية والمدنية ﴾

(وهى رد على انظار الجامعة السلطنة الحديثة والتربية فى الاسطرم)

نحن المسلمين نعتقد أن دين الله تعالى واحد فى جوهره ، وأن البيان والهدى فيه إنما يختلف باختلاف الأزمنة ، وأن الناس كانوا فى كل زمان يأخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم ، وأن حالة الاجتماع فى الأمم السابقة كانت قاضية بإضاعة كتب الدين كلها أو بعضها إذا طال الأمد على من جاء بها ، وأن أقرب الملل ظهوراً من الإسلام لم تسلم من هذه الإضاعة ، وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى حفظ كتابه كله ، وظهر فى وقت ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا أن نحكم بأنه لم تتلاش ثمرة من ثمار العقول بعد الإسلام وإن تتلاشى ، فهو مبدأ تاريخ جديد فى البشر

فلتأني إن أقرب الملل زماناً من الإسلام لم تسلم من الضياع ، وظاهرنا نحن اليهودية والنصرانية ، فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه المقدسة فهو غير موجود قولاً ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى فيهم (أوتوا نصيباً من الكتاب) وقوله عز وجل فى كل منهما (فانسوا حظاً مما ذكروا به) والخط بمعنى النصيب ، أي أنهم حفظوا بعض ما أوتوه ونسوا بعضه . ومضى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به وإن سلم من التحريف فيه والإضاعة ، فكيف إذا لم يسلم ؟ وقد أنزل الله تعالى القرآن (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) والمراد بالكتاب الجفص ، والمهيمن المراقب الذى عنده نبأ ما يراقبه ، فما صدقه القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذى أوتوه ، وما أخبر به وليس موجوداً فهو من الخط الذى نسوه ، وما كذبه فهو مما زاده وأضافوه ، فهو الحكم العدل (و إنه لقول فصل وما هو بالهزل)

وكان الواجب أن يحكموه فيما شجر ، وينتهوا عما نهى ويأتمروا بما أمر . وكذلك فعل الواقفون ، وصده عنه الآخرون . والسبب في الصدود هو السلطة الدينية التي جعل ذروها الدين لصلحتهم تقليدياً محضاً مقود عقائده بأيدي الرؤساء مثل الأحيار والاساقفة يقلدونها الناس ويحمونهم سواها ، وينشئون الاحداث من الذكران والآنثا ، على اعتقاد وجوب التسليم لهم ، والرجوع في كل أمر الدين إليهم ، ولا يزال أثر هذه التنشئة ظاهراً فيمن يربي في مدارس القسيسين ، فقراء يناظرك في المسألة ، فإذا قامت عليه حجتك ، قال ان هذا الذي تقول ظاهر في نفسه ومعقول ، ولكنه من أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ، ولا قول في الدين إلا ما يقول القسيس ، ولا يشترط أن يكون قوله معقولاً ولا مفهوماً ۱۱

فإذا قال النصراني : ان السلطة الدينية ماثار التمسب الذميمة ، ومبعث العداوة والبغضاء بين الجيران والاقربين . والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق ، والقيد الذي تقيد به الارادة والعزيمة ، والغل الذي يغل به العقل والفكر ، فالمسلم يصدقه ولا ينازعه ، يصدقه حامداً لله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الإسلام حق السيطرة على العقول والأرواح ، تودع فيها ما تشاء وتحرمها مما تشاء ، وتصرف في المسلمين باسم الدين كما تشاء . ثم يلتفت فيرى أن المسلمين الذين قلدوا الرؤساء الروحانيين عند النصراني لم يلبثوا أن صار لهم سلطة حقيقة منتظمة يحاسبون بها الافكار على خواطرها ، والعقول على معارفها ، بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم ويمدون كل معرفة تقرب من الله تعالى ، لأنهم يقولون : إن الله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق ، ثم يلتفت من جانب آخر فيرى أن هؤلاء المقلدين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين ، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامي ، وما عز لهم سلطان في مكان ، الا وكان وبالا على المسلمين . والاسلام . فان كنت نسيت حوادث مهدي السودان ، فأمامك حادثة خارجي مرا كش الآن .

العلماء والعقلاء والكتّاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاءوا ، ولهم أن يسموا في فصلها وإبعادها عن السلطة المدنية ما استطاعوا ، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد ، وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية . لهم أن يسموها سلطة ، فإن لها في كل مملكة رئيسا عاما يؤلى سائر الرؤساء في المملكة ، وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته متبشرون في كل مدينة وفي كل قرية ، ولا يوجد حكماء مدنيون في جميع القرى والمزارع ، كما يوجد هؤلاء الحكماء الروحانيون . ولهم أن يقاروا هذه الحكومة ويقاوموها ، ولهم أن يخضدوا من شوكتها ، ويضعفوا من صولتها ، ولهم أن يقولوا إنه لولا فصلها عن السلطة المدنية ، لما تنسمننا نسيب الحرية ، ولهم أن يعددوا الأمة الفرنسية ، إذا حاولت اصطلام هذه السلطة بالسككية ، المسلم يعنهم في كل هذا ، لأنه من الاصطلاح الذي جاء به الاسلام ، كما ألمعنا في صدر هذا المقال . فمن لم يأخذه من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام الفطرة إذا هداه العلم اليه ، وبما الاسلام الادين الفطرة الهادي إلى نظامها وسنن الله فيها

ومن الظالم البين أن يرمى الإسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المعروفة عند النصارى . والإسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطرا على روح فريق وحاكما على حريته في غير ما يحزمه الشرع على كل رئيس ومرؤس . ان الذين اتبعوا سنن من قبلهم وقلادهم في مثل هذا الأمر لم يتقنوا التقليد ، وكان روح الإسلام مانعا أن يبلتوا منه كل ما أرادوا . ولكن الإسلام لم يسلم من أعداء يلصقون به كل عيوبهم ، ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، نعم إنهم يخلقون عليه إفسا لأنهم اطلعوا على ما كتبنا وكتب بعض الأئمة في بيان تقي هذه السلطة ، ثم لا يفتأون يعيبون الإسلام بها ولهم غرض يرمون إليه وراء تشكيك المسلمين في دينهم وتغفيرهم منه ، وقد أشرنا إليه في مقال مضى ووعدنا ببيان الحق فيه كما بيناه في غير ذلك من شكوكهم وشبهاتهم

شاهد في الموضوع من منار السنة الأولى

صدرنا العدد ٢٢ من منار السنة الأولى بمقالة في (سلطة مشيخة الطريق الروحية) قلنا في أولها : « لقد أتى على الإنسان في طور اجتماعه أدوار ، ومرت عليه أجيال وأعصار ، وهو مفلول الإرادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين ، لقايمين عليها النفوذ التام في أفرادها ، والتصرف المطلق في آحاده ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة - أو كما يقول أهل العصر - السلطة الروحية والسلطة الزمنية » ثم قلنا بعد كلام في حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمة التي تحكم بهما مانصه :

« وبالجملة ان أمة هذا شأنها تكون دائماً متقلقة كقدح الزاكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعة وضعة وعلم وجهل وسعادة وشقاء ، قد كان مرجعه إلى تصرف الأمراء والحكامين ، والرؤساء الروحيين » ولقد كان الشر أغلب على الأمم من الخير ، والشقاء أشمل لها من السعادة . لأن الرئيس الفاضل الحكيم لا يأمن من العشار وإذا عثر عثرت معه الأمة وهوت ، وقد يهدم الرئيس الجاهل القوى في مدة قليلة ، ما بنته الحكماة في الأجيال الطويلة .

ولهذا كانت سعادة البشر موقوفة في نيلها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجعل الناس فيها شرعا (أي سواء) لازمة لرئيس على مرقس إلا بما يمتاز به المرؤسون بمضهم على بعض وبما لا تقوم الرياسة بدونه ، كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعة محاوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة ، حتى جاءت الديانة الإسلامية فحددت الشريعتين (المدنية والروحية) معاً وجعلت الناس فيها سواء لا فصل لأحد على أحد إلا بالعلم والعمل ، واقتلعت

جذور الطاعة العمياء وبينت ان الدعوة إلى الحق لا تكون إلا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي ﷺ الرأي قائلين : هل هذا شيء قلته من عندك يا رسول الله أم نزل به وحى ؟ فان قال هو من عندي جاءوا بما عندهم من الرأي وربما رجع النبي إلى رأيهم كما جرى في بعض الفزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الامام عليا مع رجل من آحاد يهود للمحاكمة وعاقبه على بعد المحاكمة بأنه لم يساو بينه وبين خصمه لانه كناه وصمى خصمه وفي التكنية تعظيم وتعظيم ، أحد الخصمين ولو بمثل هذا مناف للمدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر في مسألة تهديد المهر محتجة عليه بآية (وآتينم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) : فقال أصابت امرأة وأخطأ عمر :

« وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام طعن سواد بن غزيرة بقدح (سهم لا فصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوى في الصف يوم بدر فقال : قد أوجمتني فأقدي : فكشف له عن بطنه ليقنص منه فطلق . يتمسح به وكان ذلك منه توسلا للتوسل إلى هذا الشرف العظيم . وأذن الناس قبل موته بان من له حق عنده فليطلبه وإذا كان نحو ضرب فليقتص منه ، وأذن لرجل أن يضربه حين ادعى انه ضربه يوما فقال الرجل : إنني كنت عارى السكتف أو الظهر : (شك من الراوي) فألقى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزيرة .

« والنتيجة ان الإسلام قرر العبودية لله وحده والحرية في ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات واطلاق الارادة والفكر من سلطة كل

زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبداً كاملاً لله حراً كاملاً بالنسبة إلى ماسواه .

هذا بعض ما قلناه في المسألة من نحو خمس سنين وبعدة كلام في سلطة مشيخة الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت .

بجمل الدلائل على نفي السلطة الدينية في الاسلام

(١) أقوى الدلائل على أنه لاسلطة دينية في الإسلام كما في النصرانية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلغ لاميّطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى (إن عليك إلا البلاغ) وقال عز وجل (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) وقال تبارك شأنه (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال عز اسمه (وما أنت عليهم بجبار) وقال تعالى جده (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقال جل جلاله (وما أنت عليهم بوكيل) فإين هذا كله من ملة يدعى رؤساؤها أنهم وكلاء الله في الأرض . هل يقاس النقيض على النقيض ؟ ؟

(٢) سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فقد سمعت آتفاً أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه إلى رأى أصحابه ، وأعجب من هذا أنه رجح الرأى الموافق لرأيه في مسألة أسرى بدر وكان الرأى الآخر هو الأصلح فعاتبه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام .

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت آتفاً عن عمر ويؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفي تحكيم الأمة بأنفسهم من مزاياهم الشخصية ، وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت وإنما ميزتهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعلا به .

(٤) لو كان الاسلام شرع هذه السلطة المعروفة في الملل السابقة عليه من البوذيين والبراهمة والإسرائيليين والنصارى أو أجازها لوجد لها في المسلمين نظام وروضاء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد ، وإنما وجدت طائفة قصت للتربية والارشاد ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات ولم يكن لهم سلطة على أحد ، وإنما يتبعهم من شاء باختياره ولم يسلموا مع ذلك من رمى الفقهاء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفريق الأحكام فحملهم ، ولذلك لم يكن لهم ظهور إلا حيث يضعف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب « شيخ الاسلام » فهو من اختراع الملوك والأمراء الذين بعدوا عن المظهر الدينى فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل التأثير في نفوس العامة المقلدين

نعم إن السلطة الدينية وجدت على حقيقتها في طائفة الباطنية ثم وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية في العبيديين (الفاطميين) ولكن مذهب الباطنية ليس من الاسلام في شيء ، ولذلك لم يستطع العبيديون أن يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً ، فيقال : السلطة الدينية قد اجتمعت مع السلطة المدنية في طائفة تنتمى إلى الاسلام في الجملة . فلم مما تقدم أنه ليس في الاسلام سلطة دينية فما هذا الذي يعيب الاسلام به بعض كتاب النصارى وما هذه النصائح التي توجهها تلك الأقلام إلى الأمة الاسلامية لتقنعها بوجوب الفصل بين السلطين الدينية والمدنية ؟ الجواب : أن المراد بذلك أن يترك المسلمون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي

الشرعة والدين في الاسلام

جرى عرف الكتاب الأوروبيين ومن تبعهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصارى بأن يطلقوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يعد ويحجر به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والأحكام القضائية والمدنية والسياسية ، وكل باحث في التاريخ من

هؤلاء الكتاب يعلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ، ومن ذلك قول بعضهم : إن محمداً (عليه الصلاة والسلام) كونه في عشرين سنة أمة وجامها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمع بين هذه الأمور الثلاثة : هؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الاسلام وان ما يدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد ، وهو نور الوحي الذي أوحاه الله إلى محمد ﷺ

لا فرق في الإسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي إلا في شيء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتماد فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والكتليات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلاختلافها باختلاف ما ذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولاً عامة وموض استنباط الجزئيات التي تحدث إلى أولى الأمر العارفين بمقاصد الاسلام وأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الأحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطاً من تلك الأصول والقواعد . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فقد ذكر أولى الأمر بصيغة الجمع . وقال (ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ذكر أولى الأمر منهم بصيغة الجمع أيضاً وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه أو يتنازع فيه

ثم ان الأحكام الشرعية المنصوصة أو المستنبطة تحتاج إلى منفذين ولا بد أن يكون هؤلاء رئيس لثلاثكون الأمور فوضى وقد سمى الرئيس الأول في الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ خليفة له وسمى من بعده أمير المؤمنين ، واستمر هذا اللقب ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو مسيطراً على الناس في دينهم ولا مستقلاً بوضع الأحكام الشرعية لهم ، وإنما هو حافظ للنظام ، ومنفذ للأحكام ، وسلطته هذه كما ترى مدنية شورية . لا مطلقة ولا استبدادية ، ولكن الإسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرم عليه أن

يكون شارعاً بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف . كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه ان حملها على غير المشروع ، فصح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة إلى الدين أو انها سلطة دينية ، ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والعقول والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته ، فماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني ، وما ينصح لنا ؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعاً ومنفذاً لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن نترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ويزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين ، وجعل الأحكام حماة للدين ومنفذين له هو الذي أزال الدولة العباسية وفرق شمل الأمة الاسلامية . ومن رأيه أن المسلمين لا ينجحون ولا تقوم لهم قاعة مادام سلطاتهم مكلفاً بالعمل بشريعتهم الدينية وتنفيذها !!

لو جمعت كل ماورد من الكلام في جميع اللغات ليدل على معنى التعجب وأضفت اليه كل امارات التعجب ودلائله في الحركات والاشارات العضوية والقلمية وقدرت على تصوير جميع انفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية وألصقت ذلك كله بهذه النصيحة النصرانية للأمة الاسلامية لما وفيت حق البيان في كونها محمية غريبة مدعشة للمتعجبين !!

شبهات المشكك

(١) يقول هذا الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : إن غرض الدين في الأرض مناقض لغرض الحكومة في الأرض ، فكيف يجمع الاسلام بين النقيضين ؟ ونحن نقول له : إن الاسلام جاء للإصلاح في الأرض ، وكل مايناقض الإصلاح فهو إفساد يجب إزالته ، فالواجب أن يكون غرض الحكومة الاسلامية موافقاً لغرض الدين الاسلامي . وما لاخلاف فيه بين فقهاء الاسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة «درة المفسد وجلب المصالح» ، فأى حاكم من حكامنا يقدر

أن يأتينا بشرع أصلح من هذا الشرع إذا نحن تركناه عملاً بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع??

(٢) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : إن من التناقض بين وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للعقل وطرقاً لسير الفكر فقيده بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الإنسان بأن يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما يتبعها من المال والدم والشرف ، ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فدين الاسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك أنه تقرر فيه حرية العقل فلا يخرج المسلم عن حكمه في عقائده (كما بينا ذلك في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع إلى خمس قواعد يسمونها الكليات الخمس ، وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرية بقوله .

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومنزلها عقل وعرض قد وجب

(٣) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم ، وإن اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً . والدين مناقض لها في ذلك . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب أن تكون عليه الحكومة . وذلك أن المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال إلى مساواة عمر بين الامام على ورجل من آحاد اليهود ومطالبة على له بالمساواة في اللقب أيضاً ، وهذه مساواة لم تصل اليها حكومة ولن تصل اليها حكومة إلا أن تكون مقيمة للاسلام على حقه . وأما الحماية فمن الأصول الماثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وأن نحميهم مما نحمي منه أنفسنا » وهذه الكلمة الفضلى « لهم مالنا وعليهم ما علينا »

(٤) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : إنه ليس من شأن السلطة الدينية التدخل في الأمور الدنيوية ، لأن الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك ، فانه شرع

لبیان مصالح الدارين ، والارشاد إلى طرق السعادتین ، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك ؟ وهل كنت أنت الواضع للأديان كلها فتقول : إني وضعت دين الاسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فأنا الآن أطالبهم بالرجوع إلى الأصل ؟ إن المسلمين لا يقبلون منك ذلك لأن أنتمهم عرفوا الدين بأنه وضع إلهي سائق لذوى العقول السليمة باختيارها إلى ما فيه صلاحهم في الحال ، وفلاحهم في المآل .

(٥) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : إن الجمع بين السلطتين يضعف الأمة ضعفاً مستمراً لأنه يقتضى اضطهاد العقل والذكاء ويعرض الحكومة لثورة الأمة باغراء عدو يثيرها عليها ، ويكون سبب الشقاء الديني بين الطوائف التي تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها . ونحن نقول : إن كل هذا قد وقع في دينه فلا ننكره ، وإنما ننكر قياس ديننا عليه وهو مبين له . وحسينا أن الذي وقع عندنا هو تقيض ما وقع عندهم فإن الحكومة الإسلامية التي يسميها جمعاً بين السلطتين (وقد فهمت معناها) قد أعطت الأمة قوة لم يقاوها فيها أحد في زمنها وما ضعفت الأمة الإسلامية إلا بضعف الشرع وعدم إقامته وهذا أمر لا خلاف فيه . كذلك لم يضطهد العقل والذكاء في الإسلام في عصر إقامة شريعة الاسلام وإنما وقع شبه اضطهاد بعد ضعف الشرع والتهاون في تنفيذه . أما الثورات التي يخافها الناصح على الحكومات الإسلامية إذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع إذا خرجت الحكومات عن الشريعة لأن الخروج على السلطان لا يجوز في الاسلام إلا إذا خرج السلطان من الاسلام بترك الشريعة ، وإذا أخطأ فالواجب أن ترجعه الأمة عن خطئه بالمعروف . قال صاحب عقيدة الجوهرة :

وواجب نصب إمام عادل	بالشرع فاعلم لا بحكم العقل
فليس ركناً يعتقد في الدين	فلا يحد عن حكمه المبين
الا يكفر فانيذن عهده	فإنه يكفينا إذاه وحده

وأما الشقاق الديني بين الطوائف والممل فلم يعهد في بلاد الاسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدوء وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولاً به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة رؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفة سائر الطوائف فهو الصق بالفصل بين السلطين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يدبرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الاسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذاعت الامة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين ولولم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية إلى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك النيران فحدث بين أصحاب المذاهب شيء مما من الشقاق لنعصب كل طائفة لإمام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد ظفقت أن رجال الدين لم تنتظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعة الإسلام تأتي ذلك ولهذا لم يعظم التفور والشقاق بين أصحاب المذاهب الاسلامية كما عظم بين أتباع المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لأنها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لمست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتابهم النصراني في هذا العصر من يقول فينا إن التفريق إلى شيع من طبيعة ديننا ولا علاج لهذا التفريق إلا ترك حكامنا لشريعتنا ١١

وأما تعريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها إذ لم كانت للشريعة مستمدة من الدين فهو تقيض المعقول وخلاف الواقع فإن السياسة كما قال للكاتب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء إلا الدين وقد شدد فيه الاسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » فإذا بنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين وإذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استعاض عنهم بالامام كاتب مقالات (الاسلام والنصرانية) بما استعاض ووصفها بما وضعه . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة ١١

﴿ الوحدة الدينية ، والوطنية ﴾

يقول القاصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، إن الوحدة الدينية التي يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان أكبر أسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية . ويزعم أن البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم إلى الوحدة الوطنية وتدرج في البيان إلى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بإبطال مدارس الرهبنة وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الإلهية في خطبه . وهنا شعر بأن هذا التدرج قد أنهى به في هوة الباطل فعاد يعترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفسدها . وهكذا شأن من يهرف بما لا يعرف . وقد استدل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوروبا من المفسد والفتن بسببها وعدم نجاح البابا فيها وبعادة أوروبا بمد إقامة السد بينه وبين الأحكام . ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم أن الذي أسقط دولة بني العباس هو معجزم عن حفظ المملكة بالوحدة الدينية وعدم اعتدائهم إلى الوحدة الوطنية !!! سبحان الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه !!

خبرونا أيها المؤرخون والمطلعون على كتب التاريخ : أي مؤرخ قال إن سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال أن أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة وطالبين أن تستبدل بها قوانين غيرها يضعها الحكام أو المحكومون وأنهم لذلك ثاروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التي منارها التعضبات الدينية؟ لم يقل بذلك عالم ولا جاهل وانما هو زعم المتحمره وافتخره واخترعه وابتدعه ناصح المسلمين الأمين ، أو مشككهم في الدين ، لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر المسدلية (رحمه الله تعالى) قال بعد ما ذكر فضل

المأمون في ترويج العلوم وتوسيع نطاق المدنية ماتعريبه « إلا أنه أخطأ خطأ بينا في أمر يتعلق بتدبير المملكة وهو أنه أعطى ولاية خراسان لرجل يسمى طاهراً مكافأة له على قتل أخيه الأمين فاختذنيسابور عاصمة لها وجعلها موروثاً له ولأحفاده من بعده فكان ذلك باعثاً على إزالة رهبة الخلافة من صدور العمال ، وسبباً في الخروج عن الطاعة والنزوع إلى الاستقلال ، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الأحداث من الترك وجعلهم عسكرياً خاصاً به ولما اشتد ساعدهم خرجوا عن طاعته وأحدثوا ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قباصرة رومية »

وظاهر أن ماعله المأمون مخالف للشريعة الإسلامية ومناف للوحدة الدينية. وإن ماعله المعتصم كان لاخلاله بأصول الأحكام الإسلامية من الشورى وكفالة الأمة للإمام والتحرى في اتخاذ البطانة فقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم » الآية . وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المنافقون وقيل الكافرون . وكان أولئك الأحداث أحد الفريقين فاتهم اتخذوا بطانة ولما يدخل الإيمان في قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى (لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم » ولكن ناصحنا الأمين حرف قول الإمام في هذا المقام إلى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يعتمدون بسلامتهم وأن الذين خاص بالعرب أي أنه لا يعتمد بسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والغزالي ١١١ نعوذ بالله نعوذ بالله

يا حصرة على أعداء الشريعة الإسلامية التمسوا لها عيباً فيها فأعيامهم وأعوزهم فالتمسوه في المقيمين لها (كأبي بكر وعمر) فأعيامهم وأهجزهم ، فنقبوا عنه فيمن انصرفوا عن صراطها فنكبوا فأصابوه وأصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها ١١

كانت رابعة الوحدة في الاجتماع البشرى محصورة في البيوت (العائلات) ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقى فكانت الشعوب والأمم الكبيرة التي وحدتها الجنسية باللغة أو الدين أو البلاد (الوطن) وكان الدين خاصاً لا يتعدى الشعب الذي وجد فيه إلى أن ظهر الاسلام . فان في الاناجيل المعتمدة عند النصارى إلى اليوم أن المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل إلا إلى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ماجئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأتمم » والناموس هو شرع الاسرائيليين الخاص بهم وتسميته ببيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان أسرارہ والتوسع في القسم الروحاني منه . وأما ما ينقلونه عنه من أنه قال « اكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها » فهو مخالف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجمل (آل) في الخليقة للعهد أى الخليقة المهدودة وهي الأمة الاسرائيلية حيث كانت وأين وجدت

بعد هذا استعد البشر بناموس الارتقاء إلى وحدة أوسع من كل ما تقدم - إلى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والأمم والأجناس المختلفة في البلاد واللغات والأديان - إلى وحدة لها رابطتان (إحداهما) جنسية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يحكموا بشريعة عادلة تساوى بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غنى على فقير ولا عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخوية أخروية تختص بمن يجمعهم الاعتقاد الصحيح المبني على البرهان الصريح ، وهذه الوحدة هي الوحدة التي جاء بها الدين الاسلامي وعمل بها المسلمون في الصدر الأول فكان المخالفون لهم في الدين يفضلوا حكمهم على حكم المتعدين معهم في الدين واللغة والوطن . ولم توجد المساواة ولا العدالة الصحيحة إلى اليوم إلا في الاسلام - فـ هذه الدول الأوربية الراقية بالوطنية لا تساوى بين أنبائها وأهل مستعمراتها في الأحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير بلادها بالخروج على العدل والمساواة وتميز أجناسها على رعايا كل حكومة من تلك

الحكومات فالمصري يقتل في مصر إذا قتل أجنبيا ولكن الأجنبي لا يقتل بالمصري وقد كنا أوضحنا هذا المبحث في مقالة عنوانها (الجنسية والدين الاسلامي) فلتراجع في المجلد الثاني من المنار وفي سائر مجلدات المنار مباحث كثيرة تؤيد هذه المسائل المتفرقة وتعضد القضايا المتعددة في هذا المقال

فتبين بمجموع ما تقدم ان الوحدة التي جاء بها الإسلام هي أعلى ما يترقبه البشر وأفضل ما يتوجهون اليه ولكن الرئاسة الروحية في الديانة النصرانية التي جمعت الدين مصلحة من المصالح يفتقع بها الرؤساء وخروج الحكام المنتسبين للإسلام عن قواعدها هما السدان المانعان من ارتفاع البشر بها وستدك الحرية السدين ، ويجمع البشر بالإسلام بين السعادتين ، اهـ ص ٨٥٩ م ٥

تم الكتاب